Issue 705

شوال 1446هـ

الرابطة

الرابطة تلقي كلمة العالم الإسلامي في الجمعية العامة للأمم المتحدة لإحياء اليوم الدولي للإسلاموفوبيا

الرابطة - شهرية علمية ثقافية - تصدرها رابطة العالم الإسلامي - العدد 705 شوال 1446 هـ

صوت العالم الإسلامي يصدح في اليوم الدولي لمكافحة «الإسلاموفوبيا»

■ استمع العالم لأول مرة إلى صوت الشعوب الإسلامية في اليوم الدولي لمكافحة كراهية الإسلام (١٥ مارس) عبر الكلمة التي ألقاها فضيلة الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، رئيس هيئة علماء المسلمين في مقر الأمم المتحدة بنيويورك بدعوةٍ من الجمعية العامة للأمم المتحدة.

وتعكس هذه الدعوة، وإلقاء كلمة الشعوب الإسلامية «حضورياً»، في مقرّ الأمم المتحدة، ثقلَ الرابطة الدولي، وما تحظى به من احترام في كبرى المنظمات في العالم، وكذلك تأتي الدعوة اعترافًا بتأثير الرابطة في مكافحة «الإسلاموفوبيا» وخطابات الكراهية عمومًا، وبجهودها وتحالفاتها الدولية الواسعة في هذا السياق.

وجاءت الكلمة لمعالجة (رُهاب الإسلام) في بعديه السياقي والتأصيلي ليتبين أنه خطر عام؛ لا يهدد المسلمين وحدهم، بل يعزز التطرف والانقسامات داخل المجتمعات ذات التنوع الديني، وأنه في طليعة مهدِّدات تحقيق المواطنة الشاملة، التي تنص عليها الدساتير المتحضرة والقوانين والمبادئ والأعراف الدولية. وأبانت الكلمة ما ينجم عن هذه الظاهرة من أضرار وجرائم على المسلمين، وأنها لا تزال تمارس حتى اليوم بتصاعد مقلِق، وذلك وفق الإحصائيات الموثوقة، إضافة إلى عدد من حالات تهميش بعض المجتمعات المسلمة، وعرقلة اندماجها، أو منعها من الحصول على حقوقها الإنسانية. ووصف معالي الأمين العام (رُهاب الإسلام) على أنه قضية إنسانية تهدّد التعايش والسلم المجتمعي العالمي، وفي ذلك ما يؤكد إمكانية إيجاد تعاون بين الداعين إلى الحكمة والتعقل، وألا يدعو وجود الإسلاموفوبيا إلى ترسيخ مبدأ الصدام الذي تتبناه بعض الدوائر، بل إلى التفاعل الإيجابي مع الآخر.

ومثل هذه الرؤية الموضوعية تنطوي على إنصاف فكري لجميع من يرغبون في مكافحة الإسلاموفوبيا، وكل من يمتلكون الإرادة لتجاوز هذه الظاهرة، وكل من يرفضون الشعارات المؤجِّجة للكراهية، وكل من يزرع الخوف، وكل من يغذي العنصرية، ولكل من يرفض أن يرى الحقيقة.

وإذ يتحدث فضيلة الأمين العام عن مسؤولية المؤسسات التعليمية والثقافية، في أداء دور حيوي وملموس في تعزيز الوعي حاضرًا ومستقبلًا، وبخاصة في عقول الصغار والشباب، فإنه يؤكد ما يكاد ينعقد عليه الإجماع بأن الجهل هو السبب الأكبر من نشوء ظاهرة الخوف من الآخر، وأن توجه وسائل الإعلام طاقتها للتنوير والحوار لا لتأجيج مشاعر الخوف والقلق.

براهين واضحة وشواهد ساطعة أن الخوف من الإسلام تمييز جائر ومجحف وأنه تشويه لصورة دين يتبعه نحو مليار ونصف المليار من البشر على هذا الكوكب.

المحتويات

Contents

الرابطة

شهرية - علمية - ثقافية

أ. عبدالوهاب بن محمد الشهري | مساعد الأمين العام للاتصال المؤسسي
أ. ياسر بن صالح الغامدي | المدير العام لإدارة المحتوى
د. عثمان أبوزيد عثمان | رئيس التحرير
د. أحمد بن حمد جيلان | المستشار الإعلامي
أ. عبدالله بن خالد باموسى | مدير التحرير

- المراسلات: مجلة الرابطة ص.ب 537 مكة المكرمة - هاتف: 00966125309387 المراسلات على عنوان المجلة باسم رئيس التحرير - البريد الإلكتروني: mwljournal@themwl.org.
- الموضوعات والمقالات التي تصل إلى مجلة «الرابطة» لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

■ الرابطة تلقي كلمة العالم الإسلامي في الجمعية العامة للأمم المتحدة لإحياء اليوم الدولي للإسلاموفوبيا

■ الأمين العام يلقي خطبة عيد الفطر في أكبر جوامع ألبانيا ومنطقة البلقان

■ الرابطة تجمع ممثلي الأديان وصانعي السياسات بالكونغرس الأمريكي

■ رابطة العالم الإسلامي تضع خارطة طريق شاملة للتعامل مع ظاهرة «الإسلاموفوبيا»

■ رحلة الأدب الإسلامي في شرق إفريقيا من المحلية إلى العالمية

■ أعراف وقيم وتقاليد بإندونيسيا

■ علماء ومبدعون (غربيون) أسلموا بسبب القرآن

■ «البيمارستانات»: فخر المنظومة الصحية الإسلامية

- للاطلاع على النسخة الإلكترونية للمجلة الرجاء زيارة موقع الرابطة على الإنترنت: www.themwl.org
- طبعت بمطابع تعليم الطباعة - رقم الإيداع: 343/1425 - ردمد: 1658-1695.

ناقش مع رئيسها عددًا من القضايا ذات الاهتمام المشترك

الرابطة تلقي كلمة العالم الإسلامي في الجمعية العامة للأمم المتحدة لإحياء اليوم الدولي للإسلاموفوبيا

نيويورك - مكة المكرمة

■ استضافت الجمعية العامة للأمم المتحدة، في مقرّها بنيويورك، معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، رئيس هيئة علماء المسلمين، فضيلة الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى، ليكون متحدثاً رئيسيًا لإحياء اليوم الدولي لمكافحة كراهية الإسلام.

وعقد فضيلة الدكتور العيسى في إطار استضافته من قبل الجمعية، مباحثاتٍ ثنائية مع رئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة، السيد فيليمون يانغ، تناولت ما بات يعرف بـ «رُهاب الإسلام»، وعددًا من القضايا ذات الاهتمام المشترك.

وتعكس دعوة الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي للحضور، وإلقاء كلمة الشعوب الإسلامية «حضورياً» ، في مقرّ الأمم المتحدة، ثقلَ الرابطة الدولي، وما تحظى به من احترام في كبرى المنظمات في العالم، وكذلك تأتي الدعوة اعترافًا بتأثير الرابطة في مكافحة «الإسلاموفوبيا» وخطابات الكراهية عمومًا، وبجهودها وتحالفاتها

الدولية الواسعة في هذا السياق.

وفي كلمتـه الرئيسـية في احتفـاء الأمـم المتحـدة باليـوم الدولـي لمكافحـة كراهيـة الإسـلام، أكـد الدكتـور العيسـى، أن (رُهـاب الإسـلام) يأتـي في مقدمة النماذج المُقلِقـة لتصاعد خطاب الكراهية وممارسـاته الخطـرة، مشـدِّدًا علـى أنـه لا يضـر المسلمين وحدهم، بل يعزز التطرف والانقسامات داخـل المجتمعـات ذات التنـوع الدينـي، ويعتبر -وفق مفاهيم الكراهية- في طليعة مهدِّدات تحقيق المواطنـة الشـاملة، التـي تنـص عليها الدسـاتير المتحضـرة والقوانين والمبادئ والأعراف الدولية، منبِّهًـا إلـى مـا أدى إليـه مـن أضـرار وجرائم ضد المسـلمين، لا تـزال تمـارس حتى اليـوم بتصاعد مقلِـق، وذلك وفـق الإحصائيات الموثوقـة، إضافة إلى عـدد من حـالات تهميش بعـض المجتمعات المسلمة، وعرقلة اندماجها، أو منعها من الحصول على حقوقها الإنسانية.

وتحدّث معاليه بإسـهاب عن أسباب نشوء (رُهاب الإسـلام)، كمـا شـدّد علـى أن المسـلمين الذيـن يناهـزون اليـوم نحـو مليـاري نسـمة، يمثلـون

الصورة الحقيقية للإسلام، وهم يتفاعلون بإيجابية مع ما حولهم من العالم بتنوعه الديني والإثني والحضاري، منطلِقين من نداء الإسلام الداعي للتعارف الإنساني، كما في القرآن الكريم إذ يقول الله تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا)).

وشدّد على أن (رُهاب الإسلام) ليس قضية دينية فحسب، بل هو قضية إنسانية تهدّد التعايش والسلم المجتمعي العالمي، مضيفًا: «وعندما نتحدث من هذه المنصة الدولية لا ندافع عن الإسلام وحده، بل ندافع كذلك عن المبادئ الإنسانية».

وأضاف الشيخ العيسى: «ولذلك نقول: «لا»لجعل أتباع الأديان في مرمى الكراهية والعنصرية

والتصنيـف والإقصـاء، و«لا» للشـعارات الانتخابية المؤجِّجـة للكراهيـة، و«لا» لمـن يـزرع الخـوف ليحصـد الأصـوات، و«لا» للسياسـات التـي تبنـي مسـتقبلها علـى الخـوف والانقسـام، و«لا» للإعلام الذي يغذي العنصرية، و«لا» للمنصات التي تروج للفتنـة، و«لا» للأكاذيب التي تزور الحقائق، وأيضا: «لا» لربـط الإرهـاب بديـن يعتنقه حوالـي ملياري إنسـان، و «لا» للمتطرفين الذيـن يخطفون الدين، والإرهابِ الذي يشـوه حقيقـة الدين، وفي المقابل: «لا» لمن يرفض أن يرى الحقيقة».

وتابَـع: «كمـا نقـول أيضًـا: «لا» للخوف مـن الآخر لمجـرد اختلافه معنـا في دينه، أو عرقه، فمن يتفق معك في الدين أو العرق قد تكون لديه مخاطر على مجتمعـه الدينـي أو العرقي تفـوق أوهامك حول الآخرين».

وحمّـل فضيلتُه المجتمـعَ الدوليّ مسـؤولية بناء

من أمام مقرها الدائم في نيويورك: رابطة العالم الإسلامي تُسمع «الأمم المتحدة» صوت الشعوب المسلمة في يوم مكافحة «الإسلاموفوبيا»

عالم يسـوده التسـامح والمحبة، مؤكِّدا في الوقت ذاتـه أن علـى مؤسسـاته التعليميـة والثقافيـة، مسـؤوليةَ أداء دور حيـوي وملمـوس في تعزيـز الوعي حاضرًا ومستقبلًا، وبخاصة في عقول الصغار والشباب.

بعد ذلك تتالت كلماتُ وفود الدول الأعضاء في الأمم المتحـدة متحدثـةً بالنيابـة عن جهود مؤسسـاتها الحكومية في محاربة «الإسلاموفوبيا».

بدعوة من فخامة رئيس الجمهورية:

الأمين العام يلقي خطبة عيد الفطر في أكبر جوامع ألبانيا ومنطقة البلقان

تيرانا - مكة المكرمة

■ بدعـوةٍ مـن فخامـة الرئيـس الألبانـي، السـيد باجرام بيجاج، اسـتضافت جمهوريـة ألبانيا معاليَ الأميـن العـام لرابطـة العالـم الإسـلامي، رئيـس هيئـة علمـاء المسـلمين، فضيلة الشـيخ الدكتور محمـد بن عبدالكريم العيسـى؛ لإلقـاء خطبة عيد الفطـر المبارك في جامع تيرانـا الكبير؛ أكبر جوامع جمهوريـة ألبانيـا ومنطقـة البلقان، بحضـورٍ غفيرٍ شـمل أصحـاب الفضيلة علمـاء ألبانيـا، يتقدّمُهم سماحة المفتي العام، رئيس المشيخة الإسلامية، الشيخ بويار سباهيو.

واسـتهلّ فضيلة د. العيسـى الخطبـةَ بتهنئة الأمة الإسـلامية بقدوم عيد الفطر المبارك، مشـيرًا إلى أنّـه يومٌ للفـرح بفضل الله، وتعاهُد آداب الإسـلام وأُخـوّة الإيمـان، وترسـيخ الروابـط الوثيقـة لهذه الأخـوة، وهو أيضًـا يومٌ للتسـامُح وتعزيـز أواصر الأخـوة والمـودة، مشـدِّدًا علـى أنّ هـذه القيمـة الإسـلامية الرفيعةَ تشـملُ الجميع من مسـلمين وغير مسلمين.

وتناولـتْ خطبـةُ فضيلتـه ملامـحَ ميّـزت «هداية القـرآن الكريـم للتـي هي أقـوم»، وهـي الطريقة الأهدى والأرشـد في شـؤون العبد كافّة، سـواء كان ذلك في معتقده أو عبادته أو معاملته أو سلوكه.

وأكّد فضيلته أن الله تعالى بعثَ نبينا وسيدنا ﷺ بفطرةٍ سـليمةٍ، وبقيـمٍ عاليةٍ، ومن خـلال معاني الفطرة ومضامين القيمِ وصلت رسالتُه للعالمين، وجعلـت الناسَ يتلقونـه برحابة صـدر؛ فدخلوا في ديـن الله أفواجًـا حتـى ناهـز المسـلمون -اليـومَ- مليـارَيْ نسـمة، ومُنْذُ أن أشـرق الإيمـان بضيائه حتى اليوم، لم يسـتطع أحـدٌ الوقوفَ أمام حقيقته، أو النيْـلَ من عقيدة أهلـه، بل لم تَزِدْهُم محاولات الجهل والشر إلا إيمانًا مع إيمانهم.

وتطرقـت خطبـةُ معاليـه في هـذا السـياق إلـى

الحرص على سُـمعة الإسـلام، وقال: «لا شـك أن كلّ مسـلم يَعْتَزُّ بدينه، غيـر أن الاعتزاز الحقيقي يُصَدِّقُهُ العمل، وكلُّ مسـلم حريصٌ على سُـمعة دينه، غير أنّ الحرص الصادقَ والنافع يتمثل في أن يكون كلٌّ منا -نحن المسلمين- سفيرَ خير لدينه أمـام العالمين، على هَدْي مبادئ الإسـلام الثابتة وقِيَمِـهِ العالية، التي لا تُغَيِّرها الظروف ولا الأهواء ولا الإثارة ولا الاستفزاز».

وأشـاد د. العيسـى بمـا تشـهده ألبانيـا مـن وئامٍ اجتماعـيّ، مبيّنًـا أن شـعبَ ألبانيـا مثّـل أنموذجًا حضاريًّا عاليًا في تديّنه ووئام مجتمعه وسِلمه، كما مثّل أنموذجًا رفيعًا في التعايش والتسامح ومكارم الأخلاق، وعضوًا قويًّا فاعِلًا في وطنه وعالمه.

ونوّه فضيلتُه إلى أهميّة الأسرة، التي هي أملُ كلِّ أُمّـة، باعتبارها نواةَ مجتمعهـا وصِمَامَ أمانها، لافتًا -في هذا السـياق- إلى الدور الفاعل للمرأة المؤمنة في مجتمعها، وإسـهامها الكبيـر في التربية الصالحة وبناء الأسرة.

مثمنين تلبيته الدعوة لإلقاء خطبة العيد في العاصمة تيرانا، ومنوهين بمضامينها..

رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء يستقبلان د. العيسى

تيرانا - مكة المكرمة

■ استقبل فخامة رئيس جمهورية ألبانيا السيد باجـرام بيجـاج في القصـر الرئاسـي بالعاصمـة «تيرانـا»، الأمين العام لرابطة العالم الإسـلامي، رئيس هيئة علماء المسـلمين، فضيلة الشـيخ د. محمـد بـن عبدالكريـم العيسـى، وقد شـكر فخامتـه فضيلته على تلبيـة الدعوة لإلقاء خطبة العيد منوّهاً بمضامينها.

وفي إطـار الزيـارة الرسـمية أقـام فخامـةُ الرئيس الألباني مأدبةَ غـداءٍ تكريمية لفضيلةِ الأمينِ العام احتفـاءً بتلبيتـه دعـوة فخامتـه لإمامـة المصلين وإلقـاء خطبة عيـد الفطر المبارك في أكبر مسـاجد العيد في أوروبا.

كمـا اسـتقبل دولةُ رئيـس الوزراء الألباني السـيد أدي راما، في مقـر رئاسـة الـوزراء معالـي الأمين العـام للرابطـة، رئيـس هيئـة علماء المسـلمين، فضيلة الشيخ د. محمد العيسى، معبّراً دولته عن تثمين زيارة فضيلته للبلاد لإلقاء خطبة عيد الفطر المبارك.

وفي السـياق ذاتـه، زار د.العيسـى المشـيخة الإسـلامية بالعاصمـة الألبانيـة «تيرانـا»، ملتقيـاً بسـماحة رئيسـها وعلمائهـا، كمـا التقـى معالـي رئيسـة البرلمان الألباني في سـياق تبـادل التهاني بعيد الفطر المبارك. وجرى خلال اللقاء استعراضُ عددٍ من الموضوعات ذات الاهتمام المُشترَك.

في جامع تيرانا الكبير:

المسلم بالإحسان حاضنٌ للجميع

01

مقتطفات من خطبة العيد لمعالي الأمين العام، رئيس هيئة علماء المسلمين، فضيلة الشيخ الدكتور

محمد بن عبدالكريم العيسى

في الجامع الكبير بالعاصمة الألبانية

- الحمد لله على ما فرض من الصيام، بأجره الذي اختصّ نفسه به، وعلى ما شرع في ليالي الصيام من التراويح والقيام، وجعل فيها ليلة القدر التي شرّفها الله بإنزال القرآن، وجعلها خيرًا من ألف شهر، فاتقوا الله تعالى حق التقوى، واشكروا ربكم على ما شرع وأعان من الصيام والقيام، واسألوه جلّ وعلا القبول والثبات على الإيمان.

- إن يومكم هذا هو يومُ فرح المؤمنين بفضل الله عليهم، وهو يوم الجوائز، فهنيئًا للمقبولين، ويا لخسارة المحرومين، يقول الله تعالى: (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ).

- ما أسعدَ المسلمَ وهو يَفْرَحُ بفضل الله عليه بهذا العيد، شاكرًا فيه أنْعُمَهُ، متعاهدًا فيه آدابَ الإسلام وأُخُوَّةَ الإيمان، مرسّخًا هذه الرابطة الوثيقة، إما بزيارةٍ، أو مواساةٍ، أو صدقةٍ، أو معروف، أو إصلاح بين الناس.

- حريٌّ بيوم العيد أن يكون يوم المسابقة في التسامح، وتعزيز أواصر الأُخُوّة والمودة، بل وتشمل هذه القيمة الإسلامية الرفيعة الجميع من مسلمين وغير مسلمين، وقد صحّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: "أحبُّ الناسِ إلى اللهِ أنْفَعُهُمْ لِلنّاسِ".

- أيها المؤمنون: يقول الله تعالى: "إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ"؛ وهي الطريقة الأهدى والأرشد في شؤون العبد كافة، سواء كان ذلك في معتقده أو عبادته أو معاملته أو سلوكه.

- وبهذا: أصبحت شريعةُ الإسلام مثالًا أعلى في معيار القيم، فدعت إلى العدل والبر والإحسان مع الجميع، بل حثّت على الصفح والعفو، قال الله تعالى: "فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ".

- المسلمُ الحقُّ لا تزدوج معاييره في التحلّي بأخلاق الإسلام، فهي لا تختلفُ عنده باختلاف الدين أو اللون أو غير ذلك، فسلوكه منهجٌ ثابتٌ ومُستدام، وبهذا السلوك تعمّق الإسلام في شغاف القلوب، ومثّلَ المسلمون بسلوكهم القويم خيرَ مثال.

- المسلم سفيرُ خيرٍ لدينه، إن أحسن أحسن لصورته في أعين الآخرين، وإلا كانت الثانية؛ ليبوء بإثمه وإثم من فتنه، فأساء للإسلام بسبب تصرّف ذلك المنفّر والمستفِز.

- على قدر الوعي بقيم الإسلام والعمل بها يكون مستوى تأثير المسلم، ونفعه لدينه، الذي ارتقى في سُلّم الأخلاق إلى الأمر بالإحسان في كلّ شيء، قال الله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ"، وقال: "وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ"، وقال: "وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً"، وقال: "وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ".

- ثم أدخلَ الله تعالى السرورَ على أهل الإحسان، فقال: "إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ"، وقال: "إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ"، وقال: "إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ"، وقال: "وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ"، وقال: "هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ".

- صفة الإحسان في المسلم هي السّمة الأبرزُ في تميُّزه الإسلامي، ولا سيما في خدمة دينه، وخدمة إخوانه المؤمنين والناس أجمعين.

- المسلمُ بالإحسان حاضنٌ للجميع، يُحبُّ الخير لهم، ويؤلف ويقرّب، ويعطي ويُسعد، ويسدّد ويقارب، وهو في وصفه العام: أخلاقٌ تمشي على الأرض، لا تزيدها المتاعب والمصاعب والإساءات إلا سموًّا وتجدُّدًا وجمالًا، وهكذا المَعْدنُ النفيس لا يزيده اختبارُ مخبره إلا بريقًا ولمعانًا.

- لا شك أن الأخلاق إنما تنبُت في البيوت الزكية الطاهرة، ثم تأتي القدوة الحسنة لتسقيها وتتعاهدها، بل إن الأخلاق أشبه بجسورٍ تصل بين القلوب، لتُفتحَ بها أبوابٌ من الخير لا يفتحها سواها.

- من هداية الله للتي هي أقوم: أنّ دينَ الله وسطٌ بين الغالي فيها والجافي عنه، وهو قوله سبحانه: "وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا"، وأن الدّين من أول الرسل عليهم السلام إلى رسولنا وسيدنا الكريم ﷺ، هو دين الفطرة، قال الله تعالى: "فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا".

- ولما كان للفطرة بقيةُ أثرٍ قبل بعثة نبينا وسيدنا ﷺ، عندئذ قال عليه الصلاة والسلام: "إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق". نعم؛ مكارم الأخلاق من فطرة الله التي فطرَ النّاس عليها، وفي طليعة الفطرة: فطرة التوحيد.

02

- لا شـكَ أن كلّ مسـلم يَعتـزُّ بدينه، غيـر أن الاعتزاز الحقيقي يُصَدِّقُهُ العمل، وكلُّ مسلمٍ حريصٌ على سُمعة دينه، غيرَ أن الحرص الصادق والنافع يتمثّل فـي أن يكون كلُّ منا -نحن المسـلمين- سـفيرَ خيرٍ لدينـه أمام العالمين، على هـذي مبادئ الإسلام الثابتة، وقِيَمِه العاليـة، التــي لا تُغيِّرها الظـروف ولا الأهواء، ولا الإثارة ولا الاستفزاز.

- كم من مسلمٍ كان خيرًا على الإسلام والمسلمين بقوله الطيب وسـلوكه الحسـن، مؤلّفًا للقلوب، جامعًـا لها على الخير، قال الله تعالى: "فَبِمَا رَحْمَةٍ مِـنَ اللهِ لِنْـتَ لَهُـمْ وَلَـوْ كُنْـتَ فَظًّـا غَلِيـظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ".

- لقد بعث الله نبينا وسيدنا ﷺ بفطرة سليمة (هي فطرةُ التوحيد)، وبقيمٍ عالية (هي مكارم الأخلاق)، ومن خلال معاني الفطرة ومضامين القيم أوضحَ الإسلامُ رسـالته للعالميـن، وهـي التـي جعلـت النـاس يتلقونه برحابة صـدر، فدخلوا في دين الله أفواجًا حتى ناهز المسلمون اليوم ملياريْ نسمة.

- دخلوا -بحمد الله- في دين الله أفواجًا بتلك الفطرة النقيـة وقيمهـا العليّـة، لـم يدخلوا فـي الإسلام بالقـوة؛ لا بالسـيف ولا القهـر ولا التسـلّط، كمـا يُلفِّقهُ الجهلة والمغرضون والمُغرَّر بهم.

- بل قال الله تعالى فـي نصٍّ صريح: "لا إكراه في الديـن"، وهذا مبدأ شـرعيٌّ راسـخٌ ينطلق من ثقة الإسلام بالحق الذي نزل به، واحترامِه لحُرّية الاختيار الديني ابتداءً.

- لقد مثّل شـعبُ ألبانيا العزيز أنموذجًـا حضاريًا عاليًا في تديّنه ووئام مجتمعه وسِلمه، وأنموذجًا رفيعًا في التعايُش والتسامح ومكارم الأخلاق، وأنموذجًا إيمانيًـا صادقًا فـي أقوالـه وأفعاله، عضـوًا قويًا فاعلًا في وطنه وعالَمه.

- أدرك هذا الشـعب الواعي أن هـذا العالم المتنوع تحكمـه إرادةٌ إلهيـةٌ لـو شـاءت لجعلت النـاس أمةً واحـدةً، كمـا أدرك بوعيه أنه مهما يكن من اختلاف وتنوُّع وتعدُّد، فإن عالمنا الفسيح يسع الجميع، وأنه لا يخشى الآخرين إلا الضعفاء، ولا يكرههم عصبيةً وعنصريـةً إلا السـفهاء، وأن تلك الكراهية ليسـت حريةَ رأيٍ أو فكر، بل هي انحرافٌ خَطِر.

- مـن هداية القـرآن للتي هي أقوم: الأمـرُ بالزكاة، وهي ركن من أركان الإسلام، وقرينة الصلاة في القرآن، وكذلك إرشاده جلّ وعلا إلى الصدقة على الفقراء والمسـاكين وعموم المحتاجين، ولا سـيما الأقربين، قال الله تعالى: "الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِـرًّا وَعَلَانِيَـةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَـوْفٌ عَلَيْهِـمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُـونَ"، وقال تعالى: "فَـآتِ ذَا الْقُرْبَـى حَقَّهُ وَالْمِسْـكِينَ وَابْنَ السَّـبِيلِ، ذَٰلِـكَ خَيْـرٌ لِلَّذِيـنَ يُرِيـدُونَ وَجْـهَ اللهِ وَأُولَئِـكَ هُـمُ الْمُفْلِحُونَ".

- مُنـذُ أن أشـرق الإيمـان بضيائـه حتـى اليـوم لـم يسـتطع أحدٌ الوقوفَ أمـام حقيقتـه، أو النيل من عقيدة أهله، بل لم تزدْهم محاولات الجهل والشـر إلا إيمانًا مع إيمانهم.

- مـا أسـاء للإسلام أحـدٌ مثلمـا أسـاء إليـه بعـضُ المحسـوبين عليـه، إما عن قصورٍ فـي الوعي، أو ضلالٍ فـي المنهـج، أو هـوى فـي المقصـد، أو فسادٍ في السلوك، ومن المؤلم أن كلَّ هذا يُقدَّم باسم الإسلام، ودينُ الله منهُ بَراء.

- للمـرأة المؤمنـة دورٌ فاعـلٌ فـي مجتمعها، وهي راعيـةٌ في بيت زوجها ومسـؤولةٌ عـن رعيّتها، يبدأ هـذا الدورُ من إسـهامها المهم فـي تربية النشء التربيـةَ الصالحـة، وعليهـا أن تنهـض بهـذا الـدور المحـوريّ على أكمل وجـه؛ لأنّ تربيتهـا تُمثّلُ أهمَّ مرحلـةٍ فـي تكويـن النـشء، سـواءً فـي صياغة تفكيـره، أو تقويـم سُـلوكه، أو المحافظـةِ علـى هُويته.

- إنْ سألنا عن جيل ارتقى بأمته؛ فلأنَّ وراءَ ذلك كلّه تربيةً صالحةً وفق الله إليها، وإنْ سـألنا عن التربية الصالحـة؛ فلأنَّ محورها الأهـم امرأةٌ صالحةٌ، وكل هـذا يتكون في بيئة الأسـرة التي تمثّـل أملَ كل أمّـة، فهـي نواة مجتمعهـا وصِمـامُ أمانها، وحين تكون الأسرة بخيرٍ يكون المجتمع بخير، والأسرة لبنة تُضاف مع غيرها في بناء صرحنا الكبير: (وطنًا وأمةً وإنسانية).

خلال إفطار رمضانيّ: هو الأول من نوعه

الرابطة تجمع ممثلي الأديان وصانعي السياسات بالكونغرس الأمريكي

واشنطن - مكة المكرمة

■ أقامت رابطة العالم الإسلامي حفل الإفطار الأول من نوعه في شهر رمضان المبارك في الكونغرس الأمريكي، والذي شهد حضوراً متنوعاً من المجتمع الإسلامي وكافة أتباع الأديان الأخرى، وصانعي السياسات من كلا الحزبين السياسيين.

وتأتي هذه المبادرة لتعزيز أواصر التفاهم والتعايش بين أبناء الجالية الإسلامية، وغيرها من أتباع الديانات الأخرى وهو ما تعمل عليه الرابطة في إطار جهودها الدولية، وتأكيداً لدورها القيادي ممثلة للشعوب الإسلامية وفق مهامها المناطة بها.

وفي هذه المناسبة، (وبرسالة مرئية) تحدث معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، رئيس هيئة علماء المسلمين، فضيلة الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى للحضور أكد فيها أن رابطة العالم الإسلامي تسعى من خلال مناسباتها الدينية إلى تعزيز قيم التعايش والتعاون بين المكون الإسلامي وغيره، مشيراً إلى أن إقامة حفل الإفطار الذي شهد حضوراً كبيراً من كافة أطياف المجتمع الأمريكي يعد إضافة مهمة في مسيرة تعزيز علاقة الصداقة والثقة المتبادلة بين التنوع الأمريكي.

كما أشار معاليه خلال كلمته المرئية في حفل الإفطار، وتابعها حضور الحفل من أعضاء الكونغرس ممثلين من الحزبين الجمهوري والديمقراطي، وكذلك القيادات الدينية، إلى أن الحكمة من دعوة غير المسلمين لهذا الحفل هو تبيان معنى شهر رمضان، شهر الصوم الذي يعكس فهماً عميقاً لهذه الشعيرة، مضيفاً: «رمضان يسمح لنا بتقدير نعم الله علينا والاعتراف بمعاناة الأقل حظاً من سكّان هذا العالم، وفي الوقت ذاته هو اختبار للتقوى وضبط للنفس، والالتزام بطاعة الله في هذا

الشهر من خلال ممارسة الصيام».

وأكـد الشـيخ العيسـى في نـداء عام علـى ضرورة احتـرام الدسـاتير والقوانيـن الوطنيـة في كل بلد، مؤكداً أن عموم الجالية الإسلامية تعمل على ذلك من خلال «تمثيل حقيقة الإسلام».

وأضاف: «المسـلمون حـول العالم هم مصدر فخر لأوطانهم، يتجلى ذلك من خلال صدقهم وسلوكهم الإيجابـي تجـاه الجميـع. وتابـع قائـلاً : أحثهم بأن يسـاهموا بشـكل اسـتباقي في تعزيـز الانسـجام والتسـامح والتكامـل والتعايـش، بل والتماسـك الوطنـي»، لافتـاً إلـى أن الرابطـة تؤكد مـراراً على ضـرورة الالتـزام بالمبادئ الإنسـانية المشـتركة، التـي يواجه بها المجتمع التحديات، وخاصة خطاب الكراهية ونظريات الصدام الحضاري.

بدورها، أكدت السيدة باولا وايت كبيرة مستشاري الرئيـس الأمريكـي دونالـد ترمب لشـؤون مكتب الأديان في البيـت الأبيض، أن الرئيس ترمب يدرك أهميـة الالتزام باحتـرام التنوع الدينـي في أمريكا، وأنها بلد نشأت على هذا الأساس«وأن هذا الالتزام نصّ عليه الدستور الأمريكي في التعديل الأول».

وقدمت وايت شـكراً خاصاً لمعالي الشـيخ محمد العيسى الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، على جهوده الدولية في جمع الناس على اختلاف أديانهم ومعتقداتهم للعمل معاً من أجل صالح الجميع.

واختتمت كلمتها قائلة: «يا له من شرف لي الليلة أن أكـون هنـا معكـم لتقديـم التحيـات نيابـة عن مكتـب الأديان في البيت الأبيـض. حيث إن مكتبنا، الـذي يقـع في الجنـاح الغربـي وعلـى بُعـد أقـدام قليلة من الرئيس، هـو دليل ملموس على التزامٍ الرئيس ترامب تجاهكم».

مـن جهتهـم، قـدّم عـددٌ مـن الحضـور كلمـات وخطابات مشـابهة أشـادوا فيها بـدور الرابطة وما يجـب علـى الجميـع مـن تعزيـز أواصـر الاحترام المتبادل والصداقة والتعاون.

وكان أبـرز المتحدثيـن السـيدة مارغريت كيبلين الزعيمـة الدينيـة لأعضـاء الكونغـرس في مجلس النـواب، وكذلـك النائـب الجمهـوري السـيد جـو ويلسـون مـن ولايـة كارولينـا الجنوبيـة، والنائبة الديموقراطيـة السـيدة أبريل مكليـن ديلاني من ولايـة ميرلانـد، وكذلـك مديـرة مكتـب الأديان في البيـت الأبيـض السـيدة جينيفر كـورن، وغيرهم من ممثلي الأديان الأخرى والسـلك الدبلوماسـي والعامليـن في الكونغـرس الأمريكـي، وفي ذات السـياق تحدث عـدد من الشـخصيات الإسـلامية بكلمـات ومداخلات تنصب على الهدف النبيل من تنظيم الإفطار، فيما علق عدد منهم بأن هذا الإفطار يمثـل تحولاً نوعيـاً وخطوة مهمة تخـدم المجتمع المسلم داخل أهم المؤسسات الأمريكية.

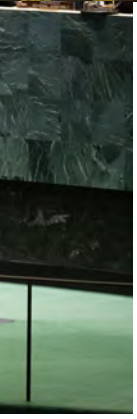

عكست الثقل الكبير الذي تحظى به «دولياً»

رابطة العالم الإسلامي تضع خارطة طريق شاملة للتعامل مع ظاهرة «الإسلاموفوبيا»

بقلم: د. محمد خليفة صديق ـ القاهرة

■ لم تكن كلمة معالي الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى في الأمم المتحدة بمناسبة اليوم العالمي لمكافحة الإسلاموفوبيا حدثًا عابرًا، بل هو حدث له ما بعده، ويعكس الثقلَ الذي تحظى به رابطة العالم الإسلامي على المستوى الدولي، والاحترام المشهود للرابطة من قبل كبرى المنظمات عالمياً، كما يعبر بجلاء عن الاعتراف العالمي بتأثير الرابطة وأمينها العام في مكافحة «الإسلاموفوبيا» وخطابات الكراهية عموماً، وبجهودها وتحالفاتها الدولية الواسعة ضمن هذا السياق الذي بات يحظى باهتمام عالمي ملحوظ.

واليوم العالمي لمكافحة رهاب الإسلام «الإسلاموفوبيا» هو يوم عالمي خصصته الأمم المتحدة لمُكافحة «الإسلاموفوبيا»، وهو يُصادف يوم ١٥ مارس من كل عام، وتقام فعالياته في ١٤٠ دولة حول العالم، وجاء إحياء اليوم الدولي لمكافحة كراهية الإسلام هذا العام مختلفا، باستضافة الجمعية العامة للأمم المتحدة، في مقرّها بنيويورك، للأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، ليُسمع العالمَ صوتَ الشعوب المسلمة في يوم مكافحة «الإسلاموفوبيا».

جاءت كلمة معالي الأمين العام للرابطة التي عبرت عن كل الشعوب الإسلامية في هذه المناسبة شافية ووافية، وتصلح أن تكون ميثاقا دوليا للتعامل مع ظاهرة الإسلاموفوبيا، وقد وضعت الكلمة الضافية معالم رؤية أهل الإسلام لنقد الظاهرة، واقتراح مقاربة متوازنة للتعامل، وتحليلا معمقا لأبعاد وجذور الظاهرة، حيث رأى معاليه أن رُهاب الإسلام يأتي في مقدمة النماذج المقلقة لتصاعد خطاب الكراهية وممارساتِه الخطرة، وهو ينشأ في غالب أحواله عن قلةِ أو انعدام المعرفة بالإسلام، وبخاصة الاعتماد على مصادرَ غير موثوقة أو متحيزة أو تحمل أجندة كارهة، كما ينشأ كذلك عن التأثر بالخطاب السياسي والشعبوي المتطرف الذي يستغل رهاب الإسلام لكسب الدعم من خلال تزوير الحقائق في سياق ضعف أو انعدام القيم والأخلاق، وينشأ أيضاً نتيجة الحكم على الإسلام من خلال تصرفات فئات معزولة لا تُمَثّل المسلمين وإنما تمثل نفسها، ولا صلة لها بحقيقة الإسلام، وهي توجه تطرفها العنيف والإرهابي للداخل الإسلامي مثلَ غيره، كما يؤكد ذلك الواقع المشاهد.

من العبارات الجامعة التي طرحها معالي الأمين العام في كلمته أن رُهاب الإسلام ليس مجرد قضية دينية بل هو قضية إنسانية تهدد التعايش والسِّلْم المجتمعي العالمي؛ فقد أدت

مشاعر وممارسات رهاب الإسلام إلى أضرار وجرائم ضد المسلمين لا تزال تُمَارَسُ حتى اليوم بتصاعُدٍ مقلق، وذلك وفق الإحصائيات الموثوقة التي تصلكم تقاريرها، بجانب عدد من حالات تهميش بعض المجتمعات المسلمة، وعرقلةِ اندماجها، أو منعِها من الحصول على حقوقها الإنسانية.

وصف معالي الأمين العام رُهاب الإسلام في تحليله المنطقي بأنه ليس خوفاً من الإسلام، بل هو في الواقع خوفٌ من: «المعرفة»، وخوفٌ من «الحقيقة»، وخوفٌ من «الاعتراف بأننا جميعاً بَشَرٌ متساوون في الكرامة الإنسانية وحُقُوقِها»، وأن رُهاب الإسلام لا يضر المسلمين وحدهم، بل يعزز التطرف والانقسامات داخل المجتمعات المتنوعة، بل يُعتبر وفق مفاهيم

كلمة د. العيسى تصلح أن تكون ميثاقًا دوليًّا للتعامل مع ظاهرة الإسلاموفوبيا

الكراهية في طليعة مهددات تحقيق المواطنة الشاملة التي تنص عليها الدساتير المتحضرة والقوانين والمبادئ والأعراف الدولية.

واعتبر معالي الأمين العام أن حديثه من هذه المنصة الدولية ليس للدفاع عن الإسلام فحسب، بل للدفاع عن المبادئ الإنسانية التي نتفق عليها كمُشتَركاتٍ تجمعنا مع كافة تنوعنا: (العدالة، الكرامة، الاحترام، التسامح)، مؤكدا

أن المسـلمين اليـوم والذين يناهـز عددهم حوالي ملياري نسـمة يُمثلون الصورة الحقيقية للإسـلام، وهم يتفاعلـون مع عالمهم بتنوعـه الديني والإثني والحضـاري، منطلقيـن مـن نـداء الإسـلام الداعي للتعـارف الإنسـاني، وفي القـرآن الكريـم يقـول الله تعالـى: «يَـا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّـا خَلَقْنَاكُمْ مِـنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا».

طـرح معالـي الأمين العـام مجموعة مـن اللاءات أرادهـا أن تصل إلـى آذان العالم مـن المنبر الأكبر والأوسـع دوليا، حيث قـال بالصوت العالـي : «لا»، لجعل أتباع الأديان في مرمـى الكراهية والعنصرية والتصنيـف والإقصـاء، و«لا» للشـعارات الانتخابية المؤججة للكراهية، و«لا» لمن يزرع الخوف ليحصد الأصـوات، و«لا» للسياسـات التي تبني مسـتقبلها علـى الخوف والانقسـام، و«لا» للإعـلام الذي يغذي العنصريـة، و«لا» للمنصـات التـي تـروج للفتنـة، و«لا» للأكاذيـب التـي تـزور الحقائـق، و«لا» لربـط الإرهاب بدين يعتنقه حوالي ملياري إنسـان، و«لا» للمتطرفيـن الذين يخطفون الديـن، و«لا» للإرهاب الـذي يشـوه حقيقة الديـن، و«لا» لمـن يرفض أن يـرى الحقيقة، وقـال أخيرا: «لا» للخـوف من الآخر لمجـرد اختلافه معنا في دِيْنِـهِ، أو عِرْقِه، فمن يتفق معك في الدين أو العرق قد تكون لديه مخاطر على مجتمعـه الدينـي أو العرقـي تفـوق أوهامك حول الآخرين.

ووجـه معالي الأمين العـام كلماته الواثقة لكُلّ من لديـه رُهـاب الإسـلام، قائـلا: لا تخافُوا الإسـلام، بل خافُـوا الجهل والتعصب، خافُوا سُـلُوْكَكُم المسـيءَ لكم والمنهزمَ أمامَ العدالة الإلهية، ثم أمام عزيمتِنا الإنسـانية الموحـدة التـي تحكـي الحقيقـة وتأخـذ بهـا وتدعـو إليها، مؤكـدا أنـه لا يوجد ديـن إرهابي ولا شـعب إرهابي، بل توجد عقول مليئة بالكراهية والاختراقات الفكريـة والمفاهيم المغلوطة، وليس هنـاك ديـن أو عرق يمكـن وصفه بأنـه مصدر قلق لذاته بدليل أن الجميع يقدم هويته الدينية والعرقية بقيمهـا التي يعتز بها، وبدليل تاريخها الحقيقي مع الآخريـن الـذي تقدمـه عن نفسـها ويقدمـه كذلك الكتاب والمؤرخون المستقلون.

وضـع معالـي الأميـن العـام خارطـة طريـق لـدور المجتمـع الدولـي في مكافحـة الظاهـرة، ضمـن مسـؤوليته في بناء عالم يسـوده التسامحُ والمحبة، حيث أوجب عليه كذلك اسـتيعاب حتمية الاختلاف والتنـوع والتعدد، حيـث إن الله، جل وعلا، لم يقض بسـنّة الاختـلاف الكونيـة «لنتصـارع ونتحـارب بل لنتقـارب ونتعارف ونتفاهم»، مشـيرا إلى أن الأمم العظيمـة لا تقـاس بقوتهـا المادية فحسـب، وإنما بقيمهـا التي تحتضن بها كافة تنوعها مهما اختلفت أديانهـم وأعراقهـم، وقـال: «عالمُنـا اليـوم أحـوجُ مـن ذي قبل لتعزيـز وَحْدَتِهِ وتَمَاسُـكِهِ في مواجهة الممارسـات المفضيـة للانقسـام والصـراع، ومـن أخطرها أسـاليبُ وممارساتُ الكراهيةِ والعنصريةِ، ولا سـيّما التنصيـف والإقصاء على أسـاسٍ ديني أو عرقي».

ومضـى معالي الأمين العـام في بيان معالم خارطة طريق المجتمع الدولي لمكافحة الإسـلاموفوبيا بأن علـى المجتمـع الدولي أن يُسـهم في تعزيـز الوعي في سـياقنا الحالـي وفي المسـتقبل، في مؤسسـاته التعليميـة والثقافيـة أن يقـوم في هذا بـدور حيوي ملمـوس الأثر، وبخاصة في عقول الصغار والشـباب لتكـون محصنـة مـن اختـراق سـلوك الكراهيـة لأفكارهـم، فالإنسـان لا يولـد وهو يكـره، ولكن يتم تعليمـه الكراهيـة، لـذا علينا مسـؤولية ألا نسـمح بتعليمه الكراهية، وأن من حق كل إنسـان أن يكون حـراً في إيمانـه دون خـوف، فهـذا اليوم ليـس يوماً لمكافحـة رُهاب الإسـلام فقـط، بل هو يـوم لإثبات أن الإنسـانية أقـوى من الكراهيـة، وأن الحب أقوى من الخوف، وأن العدالة أقوى من التسـلط والبغي، وأنـه من واجب المجتمع الدولي أن يدرك بأنه لا بد له مـن محاربة الكراهية بنفس القـوة التي يحارب بهـا الحروب فلا سـلام مسـتداماً والكراهيـة تزداد تصاعـداً، خاصـة متـى أدركنا أنهـا هي بوابة الشـر وشرارته الأولى.

مـن أبرز خلاصـات الكلمة الجامعـة لمعالي الأمين العـام قولـه: «إن المعركـة ضـد مخاطـر الكراهية الدينية ليسـت معركة دين بـل معركة قيم». وهو هنـا يفتح الباب واسـعا لـدور أكبر للأمـم المتحدة ومنظماتهـا ورابطة العالم الإسـلامي والمؤسسـات المحبة للسـلام والعدل أن تقـوم بدورها في معركة القيم وصولا لعالم يخلو من رهاب الإسـلام وخطاب الكراهية.

ويجـدر التنويه بـأن اهتمام رابطة العالم الإسـلامي بهـذه القضيـة قديـم ومتنـوع، فهي القضيـة التي

باتت تقض مضاجع المسلمين في كل مكان خاصة في الغرب، ومن ضمن هذا الاهتمام الدراسة المهمة التي أجرتها الأمانة المساعدة للاتصال المؤسسي برابطة العالم الإسلامي بعنوان: «ظاهرة الإسلاموفوبيا ومستقبلها في العالم الغربي»، والتي استشرفت مستقبل ظاهرة الإسلاموفوبيا، حيث بينت أنها سوف تنكمش على المدى البعيد شيئا فشيئا، ثم تفقد صفتها كأمر مسلّم به، برغم تصاعد الظاهرة في معدلاتها على المدى القصير، بالتوالي مع تصاعد أحداث الصدام المؤدية إليها، وبسبب طرْق الإعلام الغربي المتوالي عليها.

وقررت الدراسة التي نشرتها مجلة الرابطة أن مساهمة الطرف غير الإسلامي في تأجيج ظاهرة الإسلاموفوبيا أكبر من تأثير الطرف الإسلامي، لأنه يجهل الإسلام دينا ويجهل أوضاع المسلمين واقعا، وله جنوح مفرط نحو التعميم والتنميط ومحاسبة الجاليات الإسلامية في الغرب بسلوك قلة قليلة من أفرادها الطائشين، كما أكدت الدراسة أن الإعلام هو البوق الأكبر الذي يباشر التحريض، وينشر سُموم الكراهية، ويشعل أوارها، مما يدعو للحاجة إلى جهود أكاديمية لتحليل ونقد أساليب بعض أجهزة الإعلام الغربي في التخويف من الإسلام والمسلمين، وتسعير حمى الإسلاموفوبيا في الأوساط الشعبية خاصة، وتحريض بعض متطرفيها لارتكاب جرائم عنف ضد المسلمين.

ودعت الدراسة المهمة للرابطة إلى تنبيه الأوساط الغربية بأن عدم اندماج المسلمين الكامل في المجتمعات التي يقيمون فيها، ليس فيه استنكاف أو تعدٍّ على تلك الأوساط كما قد يتبادر إلى الأذهان، وإنما هو سلوك طبيعي من جانب الجاليات الإسلامية، وحق أوليّ لها أن تتمتع به في ظل التعددية الثقافية الغربية، وهو سلوك لا يمنع من التلاقي والاختلاط العادي مع غير المسلمين.

ونوّهت الدراسة بما طرأ من تحسين محتويات مقررات التعريف بالإسلام في المدارس والجامعات الغربية، وتخلصها من كثير مما انطلى على المناهج الدراسية سابقا من زور المستشرقين وعلماء الأديان والمؤرخين المتعصبين، داعية الأقليات الإسلامية في الغرب للاهتمام بمخاطبة وسائل الإعلام الغربية للضغط المهذب المشروع عليها من أجل تعديل طريقة تناولها للأحداث

كشفت دراسة حديثة أعدتها «الرابطة» انكماش ظاهرة «الإسلاموفوبيا»، وانحسار تأثيرها، رغم طرق الإعلام الغربي لها بشدة

الإسلامية، والاحتجاج على فرط تركيزها على تكرار بعض الصور النمطية وحوادث العنف، وتجاهلها للصور الزاهية في المجتمعات الإسلامية في الغرب، من حيث ارتفاع نسبة التعليم فيها، وتميز أفرادها مهنيا، وندرة بلايا المخدرات والمسكرات والبغاء وجرائم السطو والقتل في أوساطها.

وأوصت الدراسة الأقليات المسلمة في الغرب أن تستعين بالدول الإسلامية في مواجهة وباء الإسلاموفوبيا بمقررات الأمم المتحدة، والمجموعة الأوروبية التي أدانت انتشار هذا الوباء، والاستعانة في مواجهة الإسلاموفوبيا بنصوص المواثيق الدولية لحقوق الإنسان التي تدين بكل صراحة وقوة جميع مظاهر التمييز ضد البشر على أساس من العنصر والدين.

وأوصت الدراسة أثرياء الجاليات المسلمة في الغرب أن يوجهوا بعض تبرعاتهم - المعفاة من سجل الضرائب حسب القانون - لإنشاء مراكز أو معاهد أكاديمية ملحقة ببعض جامعات الطبقة الأولى في أوروبا وأمريكا، تكون مهمتها رصد ظاهرة الإسلاموفوبيا، وتحليل المعلومات المتعلقة بها من وجهة نظر علمية محضة غير منحازة.

إذن رابطة العالم الإسلامي ظلت تسهم بكل ما تستطيع في حقل مكافحة الإسلاموفوبيا دراسة وتحليلا وإعلاما ومشاركة في المحافل الدولية، وقد جاءت استضافة الأمم المتحدة بمقرّها لمعالي الأمين العام للرابطة ليكون متحدثاً رئيسياً، تتويجا لهذه الجهود العظيمة، وذلك بعد اعتماد الجمعية العامة (الخامسَ عشر من مارس) يوماً دولياً لمكافحة كراهية الإسلام، وهو حراك أممي في سياق مهم، يضاف للقرارات النوعية في تاريخ الجمعية العامة.

رحلة الأدب الإسلامي في شرق إفريقيا من المحلية إلى العالمية

بقلم: جوزي بلقاسم لرجان ـ جدة

■ وصل الإسلام إلى إفريقيا حتى قبل أن يصل إلى المدينة المنورة، ثاني أهم مدينة في الإسلام، ولا يزال أول مصلى قائمًا فيما يُعرف اليوم بمصوع على الساحل الإريتري، إلى جانب العديد من المساجد الأخرى المنتشرة على طول ساحل شرق إفريقيا من الموزمبيق إلى الصومال منذ فجر الإسلام، وقد زار ابن بطوطة الشعوب السواحلية ووصفهم بأنهم مسلمون مخلصون ومؤتمنون، وخلال رحلته وصل إلى كِلْوَة في جنوب تنزانيا، حين التقى بسلطان مملكة كِلْوَة وأشاد بعمران وتخطيط المدينة وازدهارها بشكل متميز عن المدن الأخرى التي زارها حول العالم.

يعكس هذا اللقاء الجذور التاريخية العميقة للإسلام في منطقة الشرق الإفريقي، وهو إرث لا يزال يشكل هوية البلدان الناطقة باللغة السواحلية اليوم، الممتدة من موزمبيق إلى كينيا، وفضلا عن العديد من المناطق الأخرى، فإن تاريخ شرق إفريقيا مع الإسلام يتجلى في قرون من الاندماج والتنوع الثقافي، يعكس تجربة تاريخية فريدة من نوعها تأثرت على مدى قرون بالمشيخات والسلطنات المحلية، مرورا بالنظم العربية والأوروبية، وقد أتيحت لي فرصة لزيارة مدينة جِدِهْ (غير مدينة جدة المعروفة)، التي أصبحت اليوم أطلالًا في شمال مومباسا بكينيا وتحتاج بشدة إلى الترميم، لكن أدهشتني روعة العمارة المتبقية وإحساس الحياة الذي كان يملأ أرجاءها من القرن الثاني عشر إلى الثامن عشر الميلادي والتي تستحق أن توصف بحمراء شرق إفريقيا.

لقاء مختلف بين الغرب والشرق

على الرغم من احتلالها من قبل القوى الاستعمارية المتعاقبة –بمن في ذلك البرتغاليون والبريطانيون والألمان والإيطاليون– أظهرت منطقة شرق إفريقيا

صمودا لافتا لسياسة «فرق تسد»، وساهمت هذه التجارب التاريخية في النسيج الثقافي الثري الذي يميّز شرق إفريقيا اليوم، ويجعلها نموذجا للوحدة ومهدا للتعددية الثقافية. ومنذ نيلهما الاستقلال، تمتعت كينيا وتنزانيا نسبيا باستقرار سياسي خالٍ من الانقلابات والصراعات وهو أمر نادر في إفريقيا ما بعد الاستعمار. ويمكن أن يُعزى هذا الاستقرار نسبيا إلى سياساتهما الثقافية الفعّالة، التي تعكس ألف عام من التسامح والسلام، والتي عززت اللغة السواحلية إلى لغة مُوَحِّدة وحصن للهوية الوطنية، فضلا عن ذلك، حققت المنطقة نموا اقتصاديا أفضل مقارنة بدول جنوب الصحراء الكبرى، حيث حافظت على وتيرة نمو مستمرة تنعكس بوضوح في الإحصائيات العالمية، ويشّكل المسلمون اليوم نحو ٤٠٪ من السكان في إثيوبيا وتنزانيا، و٥٠٪ في إريتريا، و٢٠٪ في كل من كينيا وأوغندا ورواندا.

وفي أوائل القرن العشرين جذبت شرق إفريقيا السياح والمغتربين من الغرب، من سياسيين وأدباء ورؤساء، وحتى ملوك وأمراء، بفضل ثقافتها الفريدة من نوعها وعجائب الخلق وحفاوة الشعب هناك، ومن بين من زارها الرئيس الأمريكي تيودور روزفلت، والحائزان على جائزة نوبل للأدب كأرنست همنغواي، وجورج برنار شاو، وكذلك الملكة اليزابيث الثانية قبل وبعد اعتلائها العرش، ويُروى أنها حين كانت لا تزال أميرة أقامت في كوخ على شجرة في حديقة أبيرديدار الوطنية في كينيا، وعندما توفي والدها، الملك جورج السادس، ولأول مرة في التاريخ «تسلقت فتاة شجرة كأميرة ونزلت منها كملكة»، كما صرح مستكشف بريطاني وقتها.

وقد اضطرت الإمبراطورية البريطانية إلى تبني نهجٍ مختلف في شرق إفريقيا، حيث أدركت اختلاف المنطقة عن أي إقليم آخر تحت حكمها بل أولتها

اهتماماً أكبر من الهند البريطانية، فقد منح التاريخ الطويل من التنوع والسلام لهذه المنطقة طابعا فريدا، مما دفع البريطانيين لتبرير وجودهم بادعاء تحريرها من طغيان الحكام السابقين، ولم تكن هذه الرواية صادقة على أرض الواقع مما أدى إلى الأحداث الدامية التي سبقت الاستقلال، فقد ظلت شرق إفريقيا بوتقة نابضة بالحياة تجمع بين الثقافات الإفريقية والعربية والآسيوية والأوروبية، وعلى مدى قرون ترك التأثير العربي والفارسي والهندي والأوروبي بصمات عميقة على الثقافة السواحلية، وانعكس ذلك في الطعام واللباس والعمران، وبالأخص في اللغة السواحلية نفسها، وأسهم هذا الإرث اللغوي والثقافي في تعزيز الوحدة والاستقرار، مما ساعد شرق إفريقيا في تجنب العديد من التحديات التي واجهتها مناطق أخرى من القارة.

يرى مؤرخو الآداب أن العديد من الكتّاب المعروفين من شرق إفريقيا –أو أولئك الذين عاشوا هناك فترة معتبرة– غالبا ما يتم تجاهلهم عند منح جوائز كبرى مثل جائزة نوبل للآداب. ولم تمنح هذه الجائزة لأي كاتب من شرق إفريقيا حتى عام ٢٠٢١، حيث حصل عليها عبد الرزاق قرنح، الذي وصف بأنه أول كاتب أسمر ينال الجائزة منذ الأمريكية توني موريسون عام ١٩٩٣، وأول كاتب إفريقي منذ نادين غورديمر عام ١٩٩١، وأول كاتب عربي (من أصل يمني) منذ نجيب محفوظ عام ١٩٨٩، لكن وقبل وقت طويل من هذا الاعتراف، كانت هذه المنطقة مهدًا للقيم الإنسانية، بحيث أثرت على عدد لا يحصى من الكتاب الأوروبيين، وامتدت أمواج أدب شرق إفريقيا إلى خارج سواحله وهي في نظري تتفوق على الأدب الهندي وأدب أمريكا الجنوبية حضورا وتأثيرا.

قد كانت شرق إفريقيا مصدر إلهام وتأثير للعديد من الأدباء الكبار، ومنهم من يحمل جنسيات مزدوجة كالكاتبة البريطانية الزيمبابوية دوريس ليسينغ عام ٢٠٠٧، إضافة إلى ذلك، زار جورج برنارد شاو شرق إفريقيا، والذي يعتبره البعض أعظم كاتب مسرحي في القرن العشرين، حيث التقى عام ١٩٣٥ بعالم هندي مسلم يدعى الْمَلّةُ عبد العليم صدّيقي في مومباسا بكينيا، وكان لهذا اللقاء الموثّق والمنشور أثرًا بارزًا في مراجعة شاو لآرائه السابقة حول الأديان والإسلام، كما انعكس ذلك في أعماله الأخيرة، فضلا عن ذلك، إنّ إحدى أبرز الروايات المكتوبة عن إفريقيا هي رواية الخروج من إفريقيا للكاتبة كارين بلكسين، المعروفة أيضا باسم إساك دنسن، وهي امرأة دنماركية أتقنت وصف التعقيدات والأنسجة الثقافية والاجتماعية في شرق إفريقيا لدرجة أن إرنست همنغواي أشاد بها مقتنعا بأنها كانت أكثر استحقاقا لجائزة نوبل منه، حيث تعتبر كتاباتها منصفة للإسلام ومناهضة للأدب الاستشراقي كرواية قلب الظلام لجوزيف كونراد، والطريق إلى الهند لفورستر، وعنوان روايتها الخروج من إفريقيا كناية عن صعوبة فراقها لشرق إفريقيا التي عاشت فيها مع مسلمين ومحليين، واصفة بدقة عاداتهم وأفكارهم، ومنهم خادمها الصغير في نيروبي عبد الله الصومالي الذي أصبح لاحقا قاضيا في الصومال.

وكان همنغواي من أوائل الكتّاب الأمريكيين الذين أسرتهم جاذبية شرق إفريقيا، فقد ألهمته رحلاته إلى كينيا وتنزانيا في ١٩٣٣، وانعكس ذلك في بعض أشهر أعماله، منها التلال الخضراء في إفريقيا، ثلوج كليمنجارو، وحياة فرانسيس ماكومبر القصيرة والسعيدة، ومن اللافت أن بعض كتّاب سيرته لاحظوا أن همنغواي لم يكن معروفا على نطاق واسع قبل رحلاته إلى شرق إفريقيا، حيث بزغ بعد تجاربه في تلك البلاد التي أتبعها برحلة ثانية عام ١٩٥٣.

التأثير العالمي للأدب السواحلي الإسلامي

لم يكن الإرث الأدبي والثقافي للسواحلية وليد القرن العشرين، بل هو امتداد لازدهار الأدب في شرق إفريقيا قبل العصر الحديث، وأبرز مثال على ذلك هو القصيدة المشهورة في القرن التاسع عشر(Utendi wa Mwana Kupona) والمعروفة بـ«قصيدة موانا كوبونا»، التي ألّفتها الشاعرة والعالمة المسلمة موانا كوبونا بنت مشام (١٨١٠-١٨٦٥)، كوصية ورسالة تعليمية لابنتها وللنساء من جيلها، ولا يزال يحتفى بهذا العمل عالميا بوصفه شهادة مبكرة على مكانة المرأة في المجتمع الإسلامي، متحديا الصور النمطية التي تصف الإسلام بالقمع تجاه المرأة، وقد تم ترجمتها إلى الإنجليزية عدة مرات منذ ثلاثينات القرن الماضي، وقد ترجمت لأول مرة إلى العربية ضمن رسالة بعنوان الأدب السواحلي الإسلامي في سنة ٢٠٢٢، للباحث محمد إبراهيم أبو عجل (منشورات

جامعة الإمام، الرياض). وقد كان للثقافة الإسلامية واللغة العربية تأثير جوهري ودور بارز في شرق إفريقيا مثل تأثيرها على مختلف الثقافات في المعمورة، وحسب خبراء اللغة، فإن اللغة السواحلية تدين بوجودها للتأثيرات التي جلبتها اللغة العربية التي تشكل ما لا يقل عن ٣٠ في المئة من مفرداتها، وحتى السبعينات كانت السواحلية تُكتب بالحروف العربية قبل أن تتحول إلى الكتابة بالحروف اللاتينية.

فضلا عن ذلك، كانت المنطقة منبع إلهام للعديد من الكتاب المعاصرين متعددي المنابع الذين حظوا بالتقدير نظير مساهماتهم، من بينهم نعيمة روبرت (١٩٧٧)، وهي كاتبة بريطانية زيمبابوية ذات أصول اسكتلندية وزُولِيّة اعتنقت الإسلام في صغرها، وليلى أبو ليلة (١٩٦٤)، كاتبة بريطانية سودانية عاشت في السودان ومصر قبل انتقالها إلى بريطانيا، وغالبا ما تستعرض أعمالهما موضوعات متجذرة في شرق إفريقيا، والبعض يرى أن الكاتبتين من أكثر من ساهم في إدخال الأدب الإسلامي إلى المكتبة الإنجليزية، ليس ذلك فحسب بل يمتد تأثير شرق إفريقيا إلى خارج حدودها، ملهما الكتّاب من جميع أنحاء القارة وخارجها، ويُعد الروائي النيجيري تشينوا أتشيبي (١٩٣٠–٢٠١٣)، من أبرز الشخصيات الأدبية والفكرية وأكثرها تأثيرًا فيما يسمى بالعالم الثالث، فضلا عن كونه ناقدًا لاذعًا للاستعمار، فبعد حصوله على زمالة روكفيلر، استخدم أتشيبي أموال الجائزة للسفر عبر شرق إفريقيا دون سواها لمدة ستة أشهر، وهي تجربة وصفها بـ «أعظم تحول في مسيرته»، وخلال رحلاته في كينيا وتانغنيكا وزنجبار (المتحدة الآن كتنزانيا)، لاحظ أتشيبي أن اللغة السواحلية كانت تحظى بأهمية رئيسية وبدأ استخدامها على نطاق واسع في البلدان التي زارها؛ والتقى بالشاعر التنزاني شعبان روبرت (١٩٠٩-١٩٦٢)، والذي يعتبر أب الأدب السواحلي الحديث؛ أي يعد بالنسبة للسواحلية كشكسبير بالنسبة للأدب الإنجليزي. وحسب أتشيبي، فإن شعبان روبرت اشتكى مرة من الصعوبات التي واجهها في نشر أعماله بالسواحلية، لكنه لم يعش طويلا ليرى السواحلية تصبح اللغة الرسمية في بلدان شرق إفريقيا، حيث تم تقنين السواحلية من قبل تنزانيا في ستينيات القرن الماضي ثم تبعتها كينيا وأوغندا ورواندا.

وحسب مؤرخي الأدب، من بين من ساهم في توحيد اللغة السواحلية في كينيا هو الكاتب نغوغي واثينغو (١٩٣٨)، الذي كان بمثابة تلميذ لتشينوا أتشيبي، إذ ساعد في انطلاق مسيرته الأدبية، ليصبح لاحقًا كاتبًا عالميًا، بأسلوب أكثر عنفوانية من معلمه، وقد تخلى نغوغي عن اللغة الإنجليزية في ذروة مساره لاستخدام لغته الأم الكيكويو، وحتى عندما كان لا يزال أستاذا للغة الإنجليزية في جامعة نيروبي، قام بحملة في الستينيات لجعل اللغة السواحلية لغة وطنية لكينيا، وقادت هذه الجهود صنّاع القرار لتقنين لغة وطنية على محمل الجد وجعل السواحلية اللغة الرسمية، على غرار نموذج تنزانيا، إلا أن نغوغي لم ينظر إلى العربية كلغة أجنبية مثل الإنجليزية والفرنسية، بل احتضنها كجزء من التراث الإفريقي، وحلل بدقة كيف ساعد التراث الإفريقي وتعدديته اللغوية والثقافية في كفاحها من أجل الاستقلال، ففي كتابه «تحرير العقل من الاستعمار»، أكد نغوغي: «قبل تقسيم دولهم وفقًا للحدود التي رسمها مؤتمر برلين، تحدثت إفريقيا بلغات الولوف، والهوسا، واليوروبا، والإيجبو، والعربية، والأمهرية، والسواحلية، والكيكويو، دون أن يؤدي ذلك إلى تفكيك وحدتهم المتعددة القوميات خلال نضالهم ضد الاستعمار..»، ويشارك معه هذا الرأي أي كوي أرما (١٩٣٩)، وهو كاتب غاني من غرب إفريقيا لكنه اختار قضاء جل حياته في شرق إفريقيا، في تنزانيا خصوصًا، وقد دأب أرما على الدفاع عن اللغة السواحلية كقوة موحِّدة، مطالبا باعتمادها كلغة رسمية في جميع أنحاء القارة، وشأنه شأن نغوغي، سلّط الضوء على دور السواحلية في بعث قارة إفريقيا.

لقد كان التنوع منطلقا وسمة بارزة في ثقافة شرق إفريقيا منذ فجر الإسلام حتى يومنا هذا، حيث تحدت المنطقة الصور النمطية باستمرار واحتضنت التنوع الثقافي تحت مظلة الإسلام، ويقف نسيجها الثقافي الذي شكّلته قرون من التفاعل والتبادل نموذجًا بازغًا للتسامح والتعاون، وقد لعبت اللغة السواحلية دورًا جوهريًا في تعزيز هذه الوحدة ومساعدة المنطقة لتجنب العديد من الصراعات التي واجهت أجزاء أخرى من القارة. إنّ شرق إفريقيا ليس مجرد مفترق طرق في التاريخ، بل شهادةٌ حيةٌ على قوة التنوّع الثقافي وتأثير العرب والمسلمين، وإرثٌ مستمر يُلهم العالم ويجذبه إليه.

إعلان إسلام آباد لتعليم الفتيات

وثيقة تاريخية لمحاربة الأمية والفقر داخل المجتمعات المسلمة

بقلم: د. المحجوب بنسعيد ـ المغرب

■ في ختام أعمال المؤتمر العالمي: «تعليم الفتيات في المجتمعات المسلمة: التحديات والفرص» الذي عقدته رابطة العالم الإسلامي يومي ١١-١٣ يناير ٢٠٢٥ بالشراكة مع رئاسة الوزراء بجمهورية باكستان الإسلامية، تم اعتماد (إعلان اسلام آباد لتعليم الفتيات في المجتمعات الإسلامية). ويعد الإعلان وثيقة تاريخية ومرجعية مهمة تمثل قيمة مضافة ونقلة نوعية في قضية تعليم الفتيات التي تحوز الاهتمام الدولي.

لقد تضمن الإعلان ١٧ توصية تمحورت حول أربعة أبعاد أو مجالات هي البعد الديني الشرعي، والثقافي الإعلامي، والحقوقي القانوني، والتربوي العلمي. وقبل توضيح مضامين هذه الأبعاد الأربعة، لا بد من الإشارة إلى السياق المحلي والدولي المتعلق بمشكلة تعليم الفتيات.

في العالم الإسلامي، ما تزال مشكلة تعليم الفتيات تعد في التحديات الماثلة بالنظر إلى كون الإحصاءات تؤكد أن نسبة الأمية بين النساء مرتفعة في أغلب الدول الإسلامية. ومن المفارقات أن ذلك يحصل في أمة تدعو شريعتها الإسلامية إلى وجوب العناية بتعليم المرأة وتثقيفها، وجعلت التعليم واجبا دينيا، وحقاً راسخاً لا يجوز لأحد أن يحرمها منه أو يضع المعوقات في طريقها.

على الصعيد الدولي، اعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة في ديسمبر من عام ٢٠١١ قرارا يعترف بحقوق الفتيات في حياة آمنة وصحية والانتفاع بالتعليم، وأعلنت عن «اليوم الدولي للطفلة» لتعزيز الاهتمام بضرورة التصدي للتحديات التي تواجهها الفتيات وتعزيز تمكينهنّ وإحقاق حقوق الإنسان المكفولة لهن. وأشار البنك الدولي إلى أن ضمان حصول جميع البنات والشابات على تعليم جيد حقٌ من حقوقهن الإنسانية وأحد أولويات التنمية العالمية، وكذلك أولوية استراتيجية للبنك الدولي. وأشار إلى أنه حريص على أن تكون كل مشاريعه التعليمية مراعية للمساواة بين الجنسين، ويعمل للتغلب على العوائق التي تحول دون استفادة الفتيات والأولاد من استثمارات البلدان في التعليم على نحو متساوٍ.

وتشير التقديرات في دراسة حديثة للبنك الدولي

إلى أن «محدوديـة فرص تعليم البنات، والعوائق أمام إكمالهن ١٢ سنة من التعليم، تكلفان البلدان مـا بيـن ١٥ و٣٠ تريليـون دولار في صـورة إنتاجية وأربـاح مفقـودة على مـدى العمـر». ويمكن أن تسـاعد كل هذه العوامل مجتمعة على انتشـال الأسـر والمجتمعات المحليـة والبلدان من براثن الفقر.

ومن جهتهـا أكدت منظمة اليونسـكو أن التخلف عـن المدرسـة وأوجـه القصور في التعليـم، يكلف الاقتصاد العالمي عشـرة آلاف مليار دولار أمريكي سنوياً، وأعلنت أن أكثر من ٢٥٠ مليون فتاة وفتى لا يزالـون مسـتبعدين مـن النظام المدرسـي في شـتى أنحاء العالم. وحسـب تقديرات اليونسـكو، هنـاك ١٢٩ مليون فتاة غير ملتحقـات بالمدارس في مختلـف أنحاء العالم، منهن ٣٢ مليونا في سـن الدراسـة الابتدائية، و٩٧ مليونا في سـن الدراسـة الثانوية. وأشـارت اليونسـكو إلـى أن الفقر يمثل أكثـر العوامـل أهميـة وراء تحديـد مـا إذا كان بإمـكان الفتاة أن تحصل علـى التعليم وتكمله أم لا. كمـا يمنـع العنـف الفتيات مـن الحصول على التعليم وإكماله فعادة ما تضطر الفتيات إلى قطع مسـافات طويلة سـيرا إلى المدرسـة ممـا يزيد تعرضهـن لمخاطر العنف كمـا تتعرض الكثيرات للعنـف أثناء وجودهن بالمدرسـة. وتمثل ظاهرة زواج الأطفال تحديا بالغ الأهمية حيث إن الفتيات اللاتـي يتزوجن في سـن صغيرة تـزداد احتمالات تسـربهن من المدرسة، ويكملن سنوات أقل من التعليم من نظيراتهن اللاتي يؤخرن زواجهن.

وإجمالا فـإن المجتمع الدولي، مـن خلال قرارات وتقاريـر المنظمـات الحكوميـة وغيـر الحكومية، أصبح اليوم أكثـر اقتناعا بأن التعليم يعاني اليوم أزمـة عميقـة في المسـاواة والشـمول والإنصاف والجـودة. وأن الالتـزام بتحقيـق الهـدف الرابـع من أهداف التنمية المسـتدامة يسـتلزم حصول الفتيـات علـى تعليـم جيـد كحـق مـن الحقـوق الأساسـية، والحصـول علـى فـرص إتمـام جميع مراحـل التعليـم ودخـول سـوق العمـل. وازداد اقتنـاع المجتمـع الدولـي بـأن نسـبة كبيرة من الفتيـات في المجتمعـات الناميـة يواجهـن عوائق الفقـر والأعـراف الاجتماعيـة والتقاليـد الباليـة والظروف الاقتصادية الصعبة.

وبذلـت الحكومـات في دول العالـم الإسـلامي جهـوداً كبيـرة في العقدين الأخيريـن، حيث تبيّن

التقارير الرسمية نجاحا مضطردا في نسبة التحاق الفتيـات بالمـدارس في هـذه الدول. غيـر أن تلك الجهـود غيـر كافية وتحتـاج لمزيد مـن المتابعة والاهتمـام، خاصـة في الدول التي مـا زالت تعاني مـن هـذا المشـكل بسـبب طغيـان المعتقدات الاجتماعية، وانتشـار الأفكار المتطرفة الضاربة في الغلو والتعصب تجاه الفتيات والنسـاء عموما، أو بسبب الحروب والنزاعات المسلحة.

ومن المخرجات البارزة للمؤتمر العالمي: «تعليم الفتيـات في المجتمعـات المسـلمة: التحديـات والفـرص» توقيـع ١٦ اتفاقيـة و٦ إعلانـات تعهـد داعـم لتعليم الفتيـات، في إطار منصة الشـراكات الدوليـة لتعليـم الفتيـات التي تقدم مشـروعات عمليـة وبرامـج فاعلـة في معالجـة قضيـة تعليم المـرأة والفتيـات في العالـم الإسـلامي. وتتضمن هذه المشـروعات تقديم الدعم المباشر، والمنح الدراسـية، وبنـاء القـدرات، وإعـداد الدراسـات والبحـوث والتقارير، وتصحيـح المفاهيم الخاطئة عن تعليم الفتيات، والحماية الاجتماعية والنفسية والدعم الصحي للفتيات.

بعد بيان السـياق العـام للقضية في الإطار الدولي، نرجـع إلـى التوصيـات الصـادرة عـن المؤتمـر وننظـر في أبعادها الشـرعية والثقافية والحقوقية والتربوية على النحو التالي:

١- البعد الديني الشرعي:

- إجماع علماء الأمة الإسلامية بمختلف مذاهبهم ومدارسـهم قديمـا وحديثا علـى أن تعليم المرأة حق مشروع انطلاقا من هدي الشريعة الذي جعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة.

- تعليـم الفتيـات حـق أصيـل دعت إلـى صيانته الشرائع الإلهية، وأوجبته تعاليم الإسلام.

- رفـض إرجـاع أي تحفـظ حـول تعليـم الفتيـات للشـريعة الإسـلامية وخطورة المجازفة بتحريف دلالة النصوص الشرعية ومخالفة مقاصدها العليا لتسويغ أي مفاهيم مغلوطة حول تعليم المرأة.

- المشـاركة الدينيـة الفاعلـة والمؤثـرة القـادرة علـى توضيح الحقيقة الدينية حـول قضية تعليم الفتيات.

٢- البعد الثقافي الإعلامي:

- التحذير مـن الآراء والفتاوى والأفـكار المتطرفة الناتجة عن عادات وتقاليد بعض المجتمعات التي تمنـع تعليم الفتيات وتحتقر المرأة وتحرمها من حقوقها.

- دعوة المؤسسـات الإعلامية الحكومية والأهلية إلـى تنظيم حمـلات توعية وبرامـج تثقيفية حول أهميـة تعليـم الفتيـات بالتنسـيق مـع خبـراء التربية والإعلام وبمشـاركة علمـاء الدين والأئمة والمرشدين.

- دعـوة المنصـات الدينيـة بمـا فيهـا الـدروس الدينيـة وخطـب الجمعـة للإسـهام في التوعيـة بضـرورة تعليـم الفتيـات والكـف عـن الإسـاءة للإسلام ولحقوق المرأة.

٣- البعد القانوني الحقوقي:

- دعوة المؤسسات التشريعية في الدول الإسلامية إلـى الإسـهام في تعزيـز تعليم الفتيـات من خلال إصدار القوانين والتشريعات والنظم الوطنية.

- تضافـر الجهـود لحماية حق الفتيـات في التعليم وضمان تأهيلهن.

- العنايـة بقـرارات المجامـع الفقهية الإسـلامية وفتـاوى الهيئـات العلمائيـة حـول حـق المـرأة الشـرعي في تلقـي العلـم في مجالاتـه المتعـددة ومراحله المختلفة، ونشر تلك القرارات والفتاوى والتصدي للآراء الشـاذة التي تسـتهدف هذا الحق الديني والفطري.

٤- البعد التربوي العلمي:

- الاسـتناد إلى أصـول التربية الإسـلامية، لتأطير العمليـة التعليميـة وفـق الالتـزام بالهويـة، مـع اسـتثمار التجـارب والخبرات الوطنيـة والعالمية التي أسهمت في الارتقاء بالتربية والتعليم.

- دعـم جهـود الـدول الإسـلامية من أجـل تطوير

التعليـم في وسـائله ومضامينـه، والتركيـز علـى تعليـم الفتيـات بالخصـوص ووضعـه في طليعـة الأولويات الوطنية، التزاما بالتعهدات الدولية ذات الصلة بأهداف التنمية المستدامة.

- تعزيـز المحتـوى التعليمـي الرقمـي ودعـوة المؤسسـات التعليميـة والمنظمـات الدوليـة لتطوير محتوى رقمي يسـهل وصول الفتيات إلى التعليم وخصوصاً في المناطق النائية.

- تقديم المنح الدراسـية المجانية لإتاحة الفرص التعليميـة للفتيـات اللاتي يعانين مـن آثار الفقر والنزاعات والتحديات الاجتماعية.

- دعـم الدراسـات والبحـوث العلميـة التـي تتناول تعليـم الفتيات في المجتمعات المسـلمة وتستشـرف أفضل السـبل للارتقاء به، والحد من المهددات التي تحول دونه.

تؤكـد هـذه القـراءة التحليليـة لمضامين إعلان إسـلام آبـاد أن مبـادرات رابطة العالم الإسـلامي، تتسع يوما بعد يوم، وتتنوع لتشمل، بالإضافة إلى الحوار بيـن الثقافات والحضـارات والتعايش بين أتبـاع الأديـان والأعمال الخيريـة الإغاثية، مجالات جديـدة تهم قضايا أساسـية ومحوريـة في تحقيق التنمية المسـتدامة، وفي مقدمتهـا قضايا التربية والتعليم والشـباب والبيئة وحقوق الإنسان. وهي مبـادرات تعـزز الإشـعاع الدولي للرابطـة وتقدم للعالـم صورة إيجابية عن الإسـلام مخالفة للصور النمطيـة السـيئة التـي ينسـبها إليـه، عـن جهل وتعصب، متطرفون وغلاة داخل العالم الإسـلامي وخارجـه. ومن أبرز تلك الصـور ما يتعلق بموقف الإسلام من المرأة.

لقد كان إعلان إسـلام آبـاد خريطة طريق واضحة وشاملة ومتكاملة، تسـتند إلى الثوابت الشرعية وتواكب المستجدات الدولية، وبالتالي فقد سدت الطريق في وجه المواقف المتطرفة التي سعت إلى حرمـان المـرأة والفتيات من حقهـن في التعليم، وتكريـس التخلـف، وعرقلـة تطـور المجتمعـات المسلمة.

دراسة في تاريخ النشر

عرض: فاضل محمود عوض ـ مكة المكرمة

■ الحمد لله خلقَ الإنسان، علّمه البيان، ومنّ عليه بالقلم، فدُوّنت به العلومُ، وحُفظتِ المعارفُ، ونُقلت أخبارُ الأمم، والصلاةُ والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد حظيَ تراثُنا المخطوطُ باهتمام العلماء والباحثين وعنايتهم، درسًا وشرحًا وتعليمًا ونسخًا، وأخيرًا تصحيحًا وتحقيقًا وطباعةً، والكتابُ الذي بين أيدينا اليوم، يحكي رحلةَ نشرِ الكتاب من مرحلة التصحيح والمقابلة، إلى التحقيق والنشر العلمي، فهو يؤرخ لمرحلة من مراحل هذا التراث ونشره.

«من التصحيح إلى التحقيق.. دراسة في تاريخ النشر النقدي للنصوص العربية» للكاتب: أ.د. إسلام دية، نقله إلى العربية: أ. أحمد محمود إبراهيم، من إصدارات: مركز تراث للبحوث والدراسات، في (١٥١) صفحة مع الفهارس.

يتخذُ المؤلفُ من صنيع أحمد زكي باشا الملقب بـ: شيخ العروبة (ت١٩٣٤م) في عُدولِه الواعي والمقصود عن مصطلح «التصحيح» إلى مصطلح «التحقيق» في نشرته لكتاب «الأدب الصغير» لابن المقفع عام ١٩١١م، منطلَقًا لدراسته هذه في تأريخ حركة نشر التراث العربي الإسلامي، من جهة كونه فصلًا مهمًّا من فصول تاريخنا الفكري والثقافي، إذ إنه أولُ مَنْ يستخدم مصطلح «التحقيق»، وهذا لم يكن منه إلا في طور نضجه الفكري والثقافي، وذلك بعد أن كان نشرَ طائفةً من الدراسات والترجمات المهمة.

بعد المقدمة التي أبان فيها المؤلف عن خُطته ومنطلَق دراسته، شرع في بيان التحولات الثقافية والفكرية والاجتماعية التي طالتِ المجتمعَ آنئذ، فتحدث عن نشأة الطباعة في مصر بعد حملة نابليون سنة ١٧٩٨م، ثم مطبعةِ بولاق التي أُسست بحي بولاق في القاهرة عام ١٨٢٠م، ومنشوراتِها الموجّهة إلى الطبقة الرسمية، إذ ظلّ عملُها مقصورًا على الكتابات والمعارف الإدارية والسلطانية، ثم كيف بدأت تظهر دور النشر الخاصة التي عُرفت بالمطابع الأهلية، بعد عقود قليلة.

بعد ذلك تكلم المؤلفُ عن أهم المصحّحين وأعمالهم، فـ: رفاعة الطهطاوي (ت ١٨٧٣م) عُيّن عقب رجوعه من باريس رئيسًا للجنةٍ مشكّلة من علماء الأزهر، عملُها الإشرافُ على طباعة أمهات الكتب في بولاق، فنشرَتْ تحت إشرافه عددًا من المؤلفات الكبرى، مثل: «المواعظ والاعتبار»، تاريخ الأمم والملوك»، «الأغاني»، وغيرها.

والشيخ محمد عبد الرحمن الأزهري المعروف بـ: قطّة العدوي (ت ١٨٦٤م)، أسهمَ في تدريب عددٍ من خريجي الأزهر للعمل في بولاق، ومراجعةِ كثير من مطبوعاتها وتصحيحها، فصحّحَ طائفةً من الكتب القيمة التي كانت موضعَ ثقة العلماء.

وثمةَ عالمٌ أزهريٌّ آخرُ كان له دور جوهري، ألا وهو الشيخ نصر الهوريني (ت ١٨٧٤م)، إذ عُيّن سنة ١٨٤٦م رئيسًا للمصحّحين، وكذلك أخرجَ بعض النشرات في دور النشر الخاصة، إلا إنّ أهم أعماله هو كتابُه «المطالع النصرية للمطابع المصرية في الأصول الخطية»، الذي صار مرجعًا للمشتغلين بتصحيح النصوص ونشرها.

وتبيانًا لعمل هؤلاء المصحّحين عرضَ المؤلفُ لنشرة الهوريني لكتاب «تاج اللغة وصحاح العربية» للجوهري (ت ٣٩٣هـ) أحدِ أهم كتب المعاجم العربية، حتى كان موضوعًا لكثير من الشروحات والحواشي والمختصرات، فصار - زمنَ الهوريني- قطبَ الرحى في المعاجم، مما حَفَز الهوريني إلى نشره، فعمل على تصحيح أربعة أعمال معجمية تعكس الطبيعة المتداخلة لهذه الشبكة من النصوص، فنشر في بولاق ثلاثة منها، ونشر في المطبعة الوهبية الكتابَ الرابع.

فنشر في بولاق بين عامي ١٨٦٥- ١٨٦٦م كتاب «الوشاح وتثقيف الرماح في ردّ توهيم المجد الصحاح» لـ: عبد الرحمن التادُلي المغربي (ت ١٧٨٦م)، في مجلد واحد بلا مقدمة ولا حواشٍ ولا فهارس، وهو دفاع عن «الصحاح» ضد مزاعم الفيروزابادي حول أوهام وقعت للجوهري، وفي سنة ١٨٦٥م نشرَ كتابَ «القاموس المحيط» للفيروزابادي، في أربعة مجلدات صدّرها بمقدمة على صورة شرحٍ لديباجة القاموس، مع مدخل عن مصطلحات القاموس ومنهجه، مع بعض الحواشي التي ميّزها بأن ختمها قائلًا: «ا.هـ مصحّحه»، ثم أعقبَ هذين الكتابين تصحيحُه لكتاب «شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل» للخفاجي (ت ١٦٥٩م)، ونشَرَه في المكتبة الوهبية.

وختم ذلك بنشره كتاب «الصحاح» تتويجًا لحياته المهنية مصحّحًا قديرًا، فصدر سنة ١٨٧٥م بعد سنة من وفاته، في مطبعة بولاق في مجلدين كبيرين، مصدّرًا بمقدمة تنتظم عدةَ موضوعات لغوية ومعجمية، مع تعريف بالكتاب ومؤلِّفه ومنهجِه فيه، أعقبَها بمقدمةِ كتابِ التادُلي المذكور آنفًا، وجعلَ بقيةَ الكتاب هامشًا للصحاح، بالإضافة إلى عددٍ من الملاحظات، هي إشاراتٌ إلى النسخ الخطية أو تصحيحٌ لبعض الأخطاء أو فوائدُ من الشروح والحواشي، معزوة إلى مصدرها أو مختومة بقوله: «قاله نصر»، ثم ينتهي تصحيحُه

للكتـاب بحَـرْد المتـن (خاتمـة للكتـاب مِـن وضع المصحِّح)، كتبه بلغةٍ نثرية بديعة كبيرُ المصحّحين إبراهيم عبدالغفار الدسوقي.

ومما يلاحـظ على هذه النشـرة خلوّهـا من وصف المخطوطـات المعتمـدة، وبيـانِ المنهـج المتبـع في نشـرها، وفهـارس الموضوعـات، ويلاحـظ أيضًـا استخدامُه نظام التعقيبة، وذكر تاريخ النشر في حَرْد المتن من خلال حساب الجُمّل.

ويؤكـد المؤلـف أيضًـا أن تنامي العنايـة والاهتمام بتقنية الطباعة، ووصولَ النشـرات الأوروبية للكتب العربية، دفعَتْ إلى بذل مزيد من الجهود، واتسـاعِ دائـرة النشـر، وبـروزِ جمعيـات وهيئـات علميـةَ ومصحّحين كبار.

وخلاصـةُ هذه المرحلة من جيـل مصحّحي مطبعة بـولاق ودور النشـر الخاصة التي تـدور في فَلَكِها، أنّ هـذه النشـرات كانـت تسـمى: تصحيحًـا ومقابلة، ولا ذكـرَ للفهـارس فيهـا، ولا لاسـم المصحِّـح على الغـلاف، وإنمـا يـرد في حَـرْد المتن، وكانـت تحفل بتعليقـاتٍ مطوّلة وشـروح تشـبه الحواشـي، كما أغفلَتْ ذكرَ المخطوطات أوٍ وصفاً مفصلاً لها.

أشـار المؤلف بعدها إلـى تقرير أعدّه المستشـرق المجري جولدتسـهير (ت ١٩٢١م) يصف فيه نشـاط نشـر النصوص في القاهرة خـلال النصف الأخير من القرن التاسـع عشـر، حيث أثنى على نشاط مطبعة بولاق وتنوعِ نشراتها، وبيّن أنها أسدَتْ خدمةً جليلة للدرس الاستشـراقي بذلك التنوع والجودة، وأرجعَ الفضـلَ في ذلك إلـى المصحّحين العلمـاء القائمين عليهـا، وأكّد أنّ بولاق تحتل المرتبةَ الأولى بين دور النشـر، من حيـث الكميةُ وجودة الأعمـال المنتقاة والإنجـاز والدقـة، مبيّنًا طرائق النشـر التـي اتبعها المصحّحـون، خاتمًا التقريرَ بالحديث عن مشـروع ضخـم بـدأت بـه المطبعـة، يتمثـل في نشـر كتاب «شرح القسـطلاني على صحيح البخاري»، بهامشه «شرح النووي على صحيح مسلم».

دَلَـف المؤلف بعدهـا إلى بدايات القرن العشـرين، وتحدث عن نشر النصوص عند العلماء الأوروبيين، وتطـور المناهـج الفيلولوجيـة، وإعـادة بنـاء النص الأصلـي وتجـاوز النـصّ المـرويّ، وَفـق منهج صار يُعرف بالمنهج التاريخي النقدي، قائم على استقراء النسـخ الخطيـة، وإقامـة تعليقـات نقدية، وإنشـاء بعض الأدوات البحثية كالفهارس والببليوجرافيات، فأصـدرَ طائفـةٌ من المستشـرقين نشـراتٍ علميةً لنصوص عربية، كما عرفَتْ طبعاتُ مصحّحي بولاق طريقَها إليهم.

سـردَ بعدهـا المؤلفُ عددًا من النشـرات الأوروبية المحقّقة لعدد من المستشرقين، وختمَ هذا الفصلَ بالحديث عـن الطبعة السـلطانية لصحيح البخاري، التي أمر السـلطان عبد الحميد الثاني بطباعته سنة ١٨٩٣م، على نسخة اليونيني (ت ١٣٠١م) المشهورة.

انتقـل المؤلف بعدها للحديث عن أحمد زكي باشـا والتغيير الذي أحدثَه في نشر النصوص، منطلِقًا من نشأته، فأشار إلى أنه لم يتلقَ تعليمَه في الأزهر، وإنّما في المدارس العصرية الحديثة ذات الطراز الأوروبي، التـي تركَتْ أثرًا في ثقافة المجتمع، فأتاحت للعلماء غير المنتسبين للأزهر المشاركةَ في النشاط العلمي المتصل بنشـر الكتب، ما أدى إلى التحول والتغيير فيما يُنشر وفي طرائقِ التصحيح.

وقد اسـتهلّ أحمد زكي باشا حياتَه العلمية مترجمًا للكتـب في حقلَـي التاريـخ والجغرافيـا، ولِتمكّنـه أمسى مترجمَ مجلس النّظّار، ثم سكرتير المجلس عـام ١٩١١م، واختيـر عضـوًا في الجمعيـة الجغرافيـة الخديويـة، ممـا سـهّل له لقـاءَ طائفة مـن العلماء الأوروبيين والتعرف إليهم عن قرب، والمشـاركة في مؤتمراتهم ومراسلتهم.

وفي عام ١٨٩٣م نشـر أحمد زكي باشا كتاب «السفر إلى المؤتمر»، الذي يعدّ تقريرًا أكاديميًا حول رحلته إلـى أوروبـا، وروايـةً مفصّلة عـن زيارته لإسـبانيا، وإعادةِ اكتشـافه للنصوص الأندلسـية، ومناقشـتِه لأسـماء المـدن وتصحيـح مـا وقـع في المؤلفـات الجغرافية والتاريخية من أخطاء، مستخدمًا في ذلك لفظـة «تحقيـق» كثيـرًا مقترنـة بلفظـة «تدقيق»، فالتحقيـق في هذه المرحلة كان يعني عنده الفحصَ النقديّ لأسـباب الظواهـر اللغويـة والثقافية، ومن هنـا فإنه حيـن أطلقَ هـذا المصطلحَ على نشـراته للنصـوص العربيـة، كان يـرى أنّ نشـرَ النصـوص يسـتوجب تحقيقًا منهجيًا لأصـول المصادر النصية وتواريخها.

وفي عـام ١٩١٠م وافـقَ مجلـس النُّظّار علـى المقترَح الـذي تقـدم به أحمد زكي باشـا لإنشـاء لجنة إحياء الآداب العربية، وكانت الغايةُ منها تصحيحَ نشـرات بـولاق القديمة، وإعداد نشـرات قديمة تسـتند إلى الأصول الخطية والمناهج الحديثة.

سـردَ المؤلـفُ بعدهـا تحقيقـات أحمد زكي باشـا، وأشـار إلـى قلة عددهـا، بيْـدَ أنّ أهميتهـا تكمن في جانبيـن، الأول: اختيـار النصوص، والآخـر: المناهج والأساليب المتبعة في تحقيقها. كما أشار إلى الكتب التي تولى الإشرافَ على تحقيقها.

والناظـرُ في نشـرات أحمـد زكي باشـا يـرى التطور واضحًـا في عملـه، بدءًا من أول كتـابٍ صحّحه، وهو «التبر المسـبوك في ذيل السلوك» للسخاوي، بولاق ١٨٩٦م، فكانـت تحمـلُ بعـضَ السـمات التي تمتاز بهـا طبعـاتُ بولاق، مـع بعض الإضافات في الشـكل والمنهج، ثم ما لبث أنِ استقلّ بميزات جعلَتْ من أعماله نقطةَ انطلاق باتجاه التحقيق العلمي، منها:

- وصـف العمـل في صفحـة الغـلاف بأنـه تحقيـق، ووصف نفسه بالمحقِّق.
- يصـدِّر تحقيقاتـه بمقدمة، تشـمل وصفًاللعمل وللنسخ الخطية.
- شَـفَع تحقيقاته بفهـارس تحليلية وقوائم معينة على التوسع بالبحث.
- اسـتخدام صـور فوتوغرافيـة للنسـخ الخطيـة المعتمدة.
- كتابة تعليقات نقدية توثّق النسـخ الخطية، وتنبه على الاختلافات الواردة في المصادر الأخرى، وتشرح بعض الفقرات المعضلة.
- اسـتخدام علامات الترقيم، حيثُ لم تكن أسـلوبًا معهـودًا بيـن مصحّحي بـولاق، ولا بيـن المحققين الأوروبيين.

وفي عام ١٩١٤م أخرج أحمد زكي باشا في بولاق كتابَيْن يمثلان طريقته في نشـر النصـوص، أحدهما «التاج في أخـلاق الملوك» للجاحظ، والآخـر «الأصنام» لابن الكلبي، فكانا درّةَ أعماله.

وختامًـا فـإنّ الطريقة التـي اتبعها أحمد زكي باشـا في نشـر النصـوص، واصطلـح علـى تسـميتها بـ: «التحقيـق»، كانـت مزيجًـا مـن المناهـج العلمية المعهـودة في تصحيح النصـوص ومقابلتها، وألوان الابتـداع والتجـارب التـي اسـتحدثها فريـق مـن المصحّحين المتضلعين الذين انتسـبوا إلى مطبعة بولاق، والمناهج والطرائق التي أخذ بها الجغرافيون والمستشـرقون الذيـن لقيهم وعمـل معهم، وإليه يرجع الفضل في استحداث بعض الأساليب الجديدة في التحقيـق، والأخـذ بنمط من البحـث الفيلولوجي والتاريخـي، علـى نحـو أسـهمَ في بنـاء جيـل مـن المحققيـن الكبـار خـلال العقـود الأولى مـن القرن العشرين.

المدارس الداخلية:
أعراف وتقاليد
بإندونيسيا

بقلم: د. محمد تاتا توفيق - إندونيسيا

■ التعليم عند المسلمين هو نشاط دعوي وتبليغي في آن معًا، فالدعوة تحصل بالاتباع وقبول المدعوين ما يدعون إليه، أما التبليغ فهو نقل المعرفة، وكلاهما مأمور به كما هو في أعمال رسول الله صلى الله عليه وسلم في عهد نبوته؛ عهد الدعوة، والتبليغ.

وهذا هو الإطار الذي تتبعه المدارس الداخلية الإسلامية في تربية الطلاب ودعوتهم إلى سبيل الله وتبليغ ما علّمه الله سبحانه وتعالى للبشرية عن طريق رسله. وإذا نظرنا إلى الأمر فإن نشاط الدعوة والتبليغ في سياق التعليم الحالي يجب أن يُعاد إحياؤهما باعتبارهما من القيم التربوية الأصيلة.

إن ما تفعله المدارس الداخلية الإسلامية في تعليم طلابها يختلف عن التعليم العام الذي يمارس على نطاق واسع خارج المدارس الداخلية الإسلامية. يمكن ملاحظة الفرق من خلال أهدافها، حيث تولي المدارس الداخلية الإسلامية أهمية أكبر لإعداد المجتمع من خلال تثقيف أعضاء المجتمع المستقبليين، في هذه الحالة لا يختلط الأمر مع أهداف التدريب وتعليم المهن والأعمال. ومفهوم التعليم الذي تقوم به المدارس الداخلية الإسلامية يتمثل في شعاره: «الإيمان – العلم – العمل».

ولكي نرى التربية الأخلاقية في المدارس الداخلية الإسلامية بإندونيسيا، نعرض في المقال التالي توصيفًا شاملًا لها.

المدرسة الداخلية الإسلامية كبيئة تعليمية:

عرّف الإمام الزركشي (مؤسس مدرسة كونتور الإسلامية الداخلية الحديثة) المدارس الداخلية الإسلامية أنها مؤسسات تعليمية إسلامية بنظام داخلية، يكون «كياهي» (يعني به شيخ المعهد أو رئيس المدرسة الداخلية الإسلامية والخبير الديني والداعي إلى الله) هو شخصيتها المركزية، والمسجد هو مركز الأنشطة، والتعليم الديني الإسلامي تحت إشراف «كياهي» هي أنشطة الطلاب الرئيسية.

المدارس الداخلية الإسلامية هي مجموعة من الناس تُجمع في مكان معين بهدف واحد وهو دراسة الدين، وتمثل هذه المجموعة المتجانسة مجتمعًا تعليمياً، يضم طرفي التعليم؛ المعلم والطالب، ولديهم قواعد ونظم معينة – مكتوبة وغير مكتوبة – وفقًا للرؤية والرسالة التي يتم تنفيذها من خلال شخصية مركزية هي شخصية «كياهي». إنها بيئة مرتبة في أنماطها السلوكية وأنشطتها الدراسية والعمل لتلبية الاحتياجات، والعبادة كشكل من أشكال تطبيق المعرفة، والتواصل الاجتماعي كشكل من أشكال ممارسة المعرفة وخدمة الآخرين. كل شيء يستمر في جو من الإخلاص والبساطة والاستقلال والحرية وتعزيز الأخوة بين المسلمين.

ومن هنا نستطيع أن نرى بيئة منظمة تحت إشراف قائد (كاريزمي) يقوم دائمًا بتصميم الأنشطة وإنشائها وصيانتها وتقييم تقدم الأنشطة في بيئته. إن هذه البيئة تبني ثقافة مدرسية إسلامية داخلية فريدة تتأثر إلى حد كبير بكيفية ممارسة الطالب لدينه، سواء من حيث الملابس أو الأخلاق أو القراءات أو الفهم والمعتقدات التي

يلتزم بها.

ونهج المدارس الداخلية الإسلامية في تعليم طلابها على أساس القدوة باقتداء السلوك المثالي الذي يتسم به المعلم أو الأستاذ (لقب خاص للمدرس القائم بتعليم الدين الإسلامي). ومن الناحية المنهجية، يمكن القول إن المدارس الداخلية الإسلامية تطبق أساليب مختلفة في الوعظ انطلاقًا من الحكمة التي هي طريقة وضع الشيء في مكانه. والموعظة الحسنة التي تعني النصح والتذكير بعواقب الفعل، وتعني أيضا الأمر بالطاعة وتحفيز الإرادة بالطاعة. وطريقة القدوة الحسنة هي تقديم مثال أو نموذج يحتذى به لفعل شيء جيد، وكذلك سبب الأعمال الصالحة؛ ثم المجادلة بالتي هي أحسن بالقدرة على تقديم حجج محددة وقوية.

كيف تقوم المدارس الداخلية الإسلامية بتكوين الشخصية؟

الشخصية قوامها الجودة الأخلاقية، والجودة العقلية، وقدرة الشخص على مواجهة المشاكل المختلفة، لذا فإن كلمة (الأخلاق) ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالجودة والأسلوب (السلوك) والعقلية (طريقة التفكير والتصرف) والتي تسمى في اللغة الدينية "الأخلاق الكريمة" أو السلوك النبيل.

كما ذكرنا في بداية هذا المقال، فإن المدارس الداخلية الإسلامية تظهر كمجال ونشر وغرس التعاليم الإسلامية في المجتمع الإسلامي. وبالطبع فإن الخطوات المتخذة هي خطوات دعوية أيضاً، والأساليب مستخرجة من القرآن والسنة، ومن منهج العلماء في الدعوة: «صبْغَة الله ومن أحسن من الله صبْغةً» (البقرة: من الآية ١٣).

وتتمثل تلك الخطوات فيما يلي:

أولاً: بناء ثقافة المدارس الداخلية الإسلامية: ونقصد بثقافة المدرسة هي مجموعة من القيم والأعراف والتقاليد والسلوكيات التي يمارسها جميع أعضاء المجتمع المدرسي.

ثانياً: من حيث المنهجية، تعتقد المدارس الداخلية الإسلامية أن الكلام وحده ليس بكافٍ في غرس الشخصية أو الأخلاق بل من خلال التعويد وممارسة الانضباط بالقدوة. وهذا يعني أن الشخصية الجيدة يمكن إدخالها من خلال سلسلة من الأنشطة الفعلية التي يضطلع بها الطلاب بشكل مباشر، مع إعطائهم شرحًا لمغزى وأسرار كل هذه الأنشطة.

وكثير من الأنشطة التي تغرس الانضباط

والقيـم الأخلاقيـة تعـد أنشـطة لا صفيـة، تكـون خـارج الفصول، وهي جزء من مجتمع المدرسـة الداخلية الإسـلامية الذي يشـكل سكانه المجتمع التعليمي؛ الذي يتكون من كياي وأستاذ وطلاب.

ثالثـاً: يتعلق بالمواد أو المـواد التعليمية الخاصة بتعليـم الأخلاق في المدارس الداخلية الإسـلامية. في المسـتوى الأساسـي، يتعلـم الطـلاب آيـات مـن القـرآن الكريم ذات صلـة بالأخـلاق الكريمة المرتبطـة بالسـلوك الـذي يوصـي بـه الإسـلام. ويتـم تضمين ذلـك الموضـوع الأخلاقي في درس التفسـير للصف الأول، وينـدرج أيضًا ضمن مادة الحديث للصف الأول. وهنـاك درس المحفوظات المقتبسـة مـن أقـوال العلماء والأدبـاء من حكم وأمثال وقصص مما يدرس منها الطلاب محاسن الصفـات والمواعـظ الحسـنة بنـاءً لشـخصياتهم الشريفة وكلها باللغة العربية.

رابعاً: أنشطة تدريبية في فن الكلام كوسيلة لتنمية شخصية الطلبة. وباسـتخدام رأس المال المادي والمعنوي الذي تم الحصول عليه من الموضوعات المختلفـة المذكـورة أعـلاه، يتم بعد ذلـك تنفيذ عملية التعزيز من قبل الطلاب أنفسهم من خلال برنامج ممارسة الكلام والتحدث أمام الجمهور.

خامسـاً: تتضمن برامج الطلاب التعليمية دراسة للشخصيات، وبالنسبة لكبار السن منهم في الصف الخامـس والسـادس، يُمنحـون الفرصة لتدريس دروس إضافيـة في فتـرة مـا بعـد الظهـر – بيـن السـاعة الـ١٤ والـ١٥. وهذا له أيضًـا قيمة تعليمية تتعلـق بالشـخصية، حيث يعتـادون على التدرب علـى تصرفـات المدرسـين، وتحمـل مسـؤولية التدريـس. بالاختصار، إنهم يشـعرون فعلياً بأنهم مدرسون بكل التزاماتهم ومعاييرهم. ومن خلال هذه العملية يمكن ترسـيخ شـخصية المعلم في نفوس الطلاب.

سادسـاً: التدريـب على القيـادة باعتبـاره تعليماً للأخلاق، ففي المدارس الداخلية الإسـلامية، تتاح الفرصـة للطـلاب ليشـاركوا في إدارة الجمعيـات الطلابيـة بـدءًا مـن مسـتوى الفصـل، والغرفـة، والسـكن، إلـى مسـتوى المدرسـة. وبذلـك تتاح لهـم فرصـة تنظيـم النشـاط وقيادتـه وتقييمـه وتصميمـه، كمـا أنهم يشـاركون بشـكل فعال في مختلـف اللجان. ومن خلال هـذا الدور، يتعلمون أن يكونوا مسـؤولين، وأن يتخـذوا القرارات، وأن يخططـوا ويوجهوا، حتـى يصبحوا بدورهـم أفراداً ليسوا مستعدين للقيادة فحسب، بل مستعدين أيضاً لأن يُقادوا.

سـابعاً: خدمـة المجتمـع، فالمـدارس الداخليـة الإسـلامية بُنيـت على أيـدي الطلاب، فهـم لذلك يشـاركون دائماً في مشـاريع التطوير المختلفة في

هذه المدارس.

ثامناً: المحاضرات العامة حول الآداب والسلوك، هذا النشاط يقدمه رئيس المعهد أو كياهي قبل العطلات المدرسية. وفي هذه المناسبة، ألقى كياهي مختلف المعايير وقواعد السلوك التي تنطبق في المجتمع، بدءًا من آداب التعامل العامة، وأدب المشي، والكلام، واللباس، وحضور الاحتفالات الرسمية، إلى آداب الشكر والاعتذار. بالإضافة إلى ذلك، فهو يوفر أيضًا طرقًا لتنظيم الأوقات تنظيما إيجابيا.

تاسعاً: التعزيزات التي يقوم بها كياهي في مناسبات مختلفة، وهذا له معنى كبير في تعليم الشخصية، والتركيز على غرس روح العمل المثابر، والإخلاص، وحب المعرفة والدراسة، والتعلم المستدام، وغيرها من التعزيزات والتحفيزات ينفذها كياهي في مناسبات معينة.

عاشراً: ما يتعلق بالسلطة والثقة، وهما ما اهتمت بهما المدارس الداخلية الإسلامية اهتماماً كبيراً باعتبارهما رأس مال للمعلمين. إن ثقة الطلاب في المدرسة وفي التعليم المقدم هي رأس مال في التعليم، ولهذا السبب يجب أن تكون المدارس الداخلية الإسلامية هي المرجعية للطلاب من حيث نظمها وقادتها، ومدرسوها، والاختبارات التي تقام فيها.

تعني كلمة السلطة القدرة على التحكم والتأثير على الآخرين من خلال المواقف والسلوكيات التي تحتوي على القيادة؛ لذا فإن معنى كلمة (السلطة) يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالقيادة والسلوك والجاذبية والطاعة والاحترام. كان للمعلمين التقليديين طريقتهم الخاصة في تنظيم العلاقة بين المعلم والطالب. بناء على ذلك فالمدارس الداخلية الإسلامية تقوم بالتوجيهات والإرشادات في كيفية التعامل بين الطلاب والمعلمين في مطلع كل سنة دراسية.

الخاتمة:

يعلمنا الإسلام أن الإنسان يولد على الفطرة، كصفحة بيضاء جاهزة للكتابة عليها أو رسمها بصور وكتابات مختلفة حسب رغبة الوالدين.

والمدارس الداخلية الإسلامية حققت مفهوم التربية التي هي جهد يبذله الكبار عمداً للتأثير على الأطفال بأنواع مختلفة من التأثيرات المختارة لمساعدة نمو الطفل من النواحي الجسدية والعقلية والسلوكية حتى يصل إلى النضج تدريجياً. لذلك، فإن تربية الشخصية الجيدة، يجب أن تكون على أيدي أشخاص تتوافر فيهم مقومات الشخصية الإسلامية، و(مؤسسات وأنظمة) تتكامل بعناصر الشخصية الإسلامية ومنهجيتها وسلوكها.

اللغة العربية في أمريكا اللاتينية

جسر ثقافي نحو الوحدة الإسلامية

بقلم: أحمد السيد بدوي - البرازيل

■ في ظـلّ تنوع الألسـنة التي جعلهـا الله آيةً من آياتـه، تظلّ اللغة العربية شـاهدًا حيًّا على عُمق التراث الإنساني وتحمل بين حروفها قِيَمًا تنتقل عبـر الأجيـال والقـارات، كونها واحـدة من أقدم اللغات الحية في العالم. وتأتي في المرتبة الرابعة من حيـث عـدد المتحدثين بهـا البالـغ عددهم ٥٥٠ مليـون نسـمة، بعـد الصينيـة والإنجليزية والإسبانية، وتعتمدها نحو ٢٧ دولة لغة رسمية. وفي أمريكا اللاتينية، حيث تتعانق الثقافات تحت سـماء واحدة، تجاهد الجاليـات العربية وأجيالها الجديدة في الحفاظ على لغتها الأم كجذورٍ تربطها بأصولها، وكجسـرٍ يصل الشـرق بالغرب في حوارٍ حضاريٍ فريد.

جذور الإرث اللغوي

شـكّلت موجـات الهجـرة العربيـة إلـى أمريـكا اللاتينيـة على مدار القرن التاسـع عشـر وبداية القـرن العشـرين عامـلًا حاسـمًا في نقـل اللغـة العربيـة إلى هذه القارة. فقـد حمل المهاجرون مـن بـلاد الشـام والمغـرب العربـي لغتهم الأم وثقافتهم كجزءٍ لا يتجزأ من هويتهم التي سـعوا للحفـاظ عليها في ظل بيئة جديـدة ومختلفة. لم يكن هؤلاء المهاجرون مجرد مسافرين بحثًا عن الرزق، بل كانوا سـفراء للثقافة العربية، تحقيقًا لقـول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّـاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَـرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُـعُوبًا وَقَبَائِـلَ لِتَعَارَفُوا} (الحجـرات: ١٣)، فكانـت هجرتهـم نـواةً لتعارف الشعوب وتبادل الثقافات.

أسهمت المجتمعات العربية المنتشرة في دول مثـل البرازيـل والأرجنتين وفنزويلا في ترسـيخ اللغـة العربيـة من خـلال اسـتخدامها في الحياة اليوميـة والمناسـبات الاجتماعيـة والدينيـة، ممـا جعلهـا رمـزًا للتواصل بيـن أفـراد الجالية

ووسيلة للحفاظ على الروابط الثقافية مع الأوطان الأصلية. لم تكن هذه الهجرة مجرد انتقال جغرافي، بل كانت رحلة ثقافية وإنسانية بامتياز، حيث ظهرت مؤسسات ثقافية عملت على الحفاظ على الهوية العربية من خلال تعليم اللغة وتنظيم الأنشطة الثقافية والدينية، مثل إحياء المناسبات الدينية والوطنية، مما عزز الانتماء لدى الأجيال الجديدة. ولا يمكن إغفال دور المساجد التي تحولت إلى منارات لتعليم القرآن الكريم واللغة العربية، حيث تجتمع العائلات العربية كل جمعة في صلاةٍ تجمع بين الأصالة والاندماج، لترسيخ الهوية وتعزيز الروابط الثقافية.

بصمة عربية تواجه التحديات

تُعد اللغة العربية أكثر من مجرد وسيلة للتواصل، فهي جسر حضاري أسهم في نقل معارف وثقافات أثرَت الإنسانية. إن انتشار اللغة العربية في أمريكا اللاتينية ليس مجرد نتيجة للهجرة، بل هو امتداد لتاريخ طويل من التفاعل الثقافي بين العرب والعالم. وقد ساهمت اللغة العربية في تعزيز التفاهم بين الشعوب، من خلال دورها في مجالات الأدب والفنون والتعليم، حيث ساعدت في بناء جسور من التبادل الثقافي بين العالم العربي وأمريكا اللاتينية. ورغم قلّة الوجود الإسلامي في أمريكا اللاتينية، إلا أن بصمة العربية تظهر في مفرداتٍ اندمجت باللغات المحلية وفي أطباق المطبخ العربي التي صارت رمزًا للتنوع، كالكبة والتبولة. لكن التأثير الأعمق يكمن في القِيَم الاجتماعية التي نقلها العرب، كالكرم وحُسن الضيافة، والتي تتناغم مع ثقافة الشعوب اللاتينية، فخلقت تمازجًا فريدًا تجسّد في الأعمال الأدبية والفنية، التي تحمل إشاراتٍ

إلـى التراث العربي. لذا، فـإن الحفاظ على اللغة العربيـة وتعزيز وجودها في أمريـكا اللاتينية هو اسـتمرار لهذا الإرث الحضاري الذي يجسـد قيم التفاهم والتعاون بين الشعوب.

لكن هذا الإرثَ الثقافي الغني يواجه اليوم تحدياتٍ تهـدد اسـتمراريته، أبرزهـا ضعـف الإمكانيـات التعليمية، ونـدرة المناهج الحديثة التي تجذب الأجيـال الجديـدة، في ظـلِّ اندمـاج الشـباب في الثقافـات المحليـة وابتعادهـم التدريجـي عـن اللغة. ففي حين تُقـدِّم بعض المدارس العربية دروسًـا تقليديةً تعتمد علـى الحفظ، تفتقر هذه المناهـج إلى الإبداع والتكنولوجيا التي يعشـقها جيـلُ اليـوم. كمـا أن غيـاب الدعـم الحكومـي للمؤسسات الثقافية العربية يجعلها تعتمد على تبرعـات المجتمع، مما يعيق توسـعها ويجعلها رهينـةَ الجهـود الفرديـة. ولا يُمكـن إنـكار تأثير وسـائل التواصـل الاجتماعـي والثقافـة الغالبة، التـي تجعل الشـباب يفضلـون اللغة الإسـبانية أو البرتغاليـة في حواراتهـم اليومية، مما يُضعف ارتباطهم بالعربية.

وتشير البيانات إلى وجود نحو ٥٧ جهة ومؤسسة تُعنى بتعليم اللغة العربية ونشـرها في مختلف أنحـاء البرازيل، تتوزع بين مؤسسـات أكاديمية وجمعيات خيرية، وكيانات تابعة للقطاع الخاص. ومـن اللافـت أن أكثـر مـن ٣٠ جهـة تعليميـة تعمـل علـى تقديـم برامـج تعليميـة معتمدة تشـمل الجامعـات والمـدارس، بينمـا تسـهم ٢٧ جمعيـة ومؤسسـة مجتمـع مدنـي في دعم اللغـة العربية من خلال أنشـطة ثقافية ودورات تعليميـة. كما يُقدّر عـدد المنحدرين من أصول عربيـة في البرازيـل بحوالي ١٥ مليون شـخص، مـا يمثـل حوالي ٧٪ من سـكان البـلاد، وهو ما يعزز الطلـب على تعلم اللغة العربية كوسـيلة للحفـاظ علـى الهوية الثقافية. ومـع ذلك، تواجه اللغـة العربية تحديات كبيـرة أبرزها محدودية الدعم المؤسسي وضعف الموارد المالية، حيث يتركـز تعليـم اللغـة في ٤ جامعات كبـرى فقط،

بينما تبقى أكثر من ٩٦٪ من المدن البرازيلية دون أي برامج تعليمية رسمية في هذا المجال. إضافة إلى قلة الكوادر المؤهلة لتدريس اللغة، حيث لا يتجاوز عدد المتخصصين في هذا المجال ٣٩ أكاديميًا، في دولة كبيرة مثل البرازيل.

من ناحية أخرى، يعاني النظام التعليمي من تحديات أخرى مثل نقص المناهج الحديثة، وضعف التنسيق بين الجهات التعليمية، وارتفاع تكاليف الدراسة في بعض المؤسسات، مما يحد من انتشار اللغة في المناطق الأقل دعمًا. وعلى الرغم من الجهود المبذولة، لا تزال بعض الجامعات البرازيلية الكبرى مثل جامعة ساو باولو وجامعة ريو دي جانيرو من بين القلائل التي تقدم برامج أكاديمية معتمدة لتعليم اللغة العربية.

تُظهر هذه البيانات الحاجة الماسة إلى تطوير استراتيجيات تعليمية شاملة، مع التركيز على تدريب المعلمين، وتوسيع نطاق التعليم ليشمل مناطق أكثر، وتعزيز التعاون بين المؤسسات التعليمية في البرازيل والعالم العربي.

رابطة العالم الإسلامي: قاطرة التغيير

هنا يأتي دور رابطة العالم الإسلامي لتحويل هذه التحديات إلى فرص، عبر إنشاء مراكز تعليمية بالشراكة مع الجامعات المحلية، تقدم مناهجَ تركّز على العربية كلغة حوارٍ حضاري، لا مجرد لغةٍ تقليدية. فبدلًا من اقتصار التعليم على قواعد النحو والصرف، عبر إنشاء مراكز تعليمية بالشراكة مع الجامعات المحلية وتصميم دوراتٍ تُعنى باللغة العربية كلغةٍ للفنون والعلوم، أو برامج تبادلٍ ثقافي تسمح للشباب اللاتيني بزيارة الدول العربية، ليَروا بأنفسهم جمالَ اللغة في سياقها الحضاري. ولعل تجارب رابطة العالم الإسلامي الناجحة لإقامة معاهد في جزر القمر والنيجر والمركز الإسلامي في نيجيريا واتفاقيات التعاون مع عدد من الجامعات لتأسيس برامج زمالة في اللغة العربية والحضارة الإسلامية، تعكس جاهزية وقدرة الرابطة على محاكاة تلك النجاحات في دول أمريكا اللاتينية. وقد كان للرابطة أيضا سبق في إحياء اليوم العالمي للغة العربية في عواصم العالم، وهو أيضا مناسبة يمكن استثمارها لجمع شمل الناطقين بالعربية في دول مثل البرازيل والأرجنتين. كما يمكن للرابطة أن تستلهم من نجاحاتها السابقة، مثل مؤتمر التواصل الحضاري بين العالم الإسلامي وأمريكا ومشاريعها في إفريقيا لنشر العربية عبر منصاتٍ تفاعلية، أو مسابقات القرآن التي جذبت آلاف الشباب في آسيا، لقيادة مهمة جديدة. ولا يقل أهميةً عن ذلك دعمُ الإعلام العربي الناطق باللغة الفصحى، لإنتاج برامجَ ومسلسلاتٍ تصل إلى قلوب الشباب وعقولهم، كما فعلت تركيا بنجاح عبر الدراما التاريخية التي جذبت الملايين في أمريكا اللاتينية نفسها. وتدل تجارب مثل مبادرة «اللاتينيون العرب» التي أطلقتها اليونسكو بالتعاون مع مؤسسة سلطان بن عبد العزيز آل سعود الخيرية، على إمكانية تكرار مثل هذه المبادرات لدعم اللغة العربية وتعزيز مكانتها.

لغة الوحدة والمستقبل

ما يميز شعوب أمريكا اللاتينية هو انفتاحها الكبير على الثقافات الأخرى وتقبلها للتنوع، مما يشكل فرصة ذهبية لتعزيز حضور اللغة العربية. لذا، يمكن من خلال المبادرات الثقافية والتعليمية أن يتم تقديم اللغة العربية ليس فقط كوسيلة للتواصل، ولكن كبوابة لفهم ثقافة غنية وتراث عريق. وتشير إحصائيات حديثة إلى أن أكثر من ٣٠ جامعة في أمريكا اللاتينية تقدم برامج تعليمية متخصصة في اللغة العربية، مع تزايد الاهتمام بالترجمة والأبحاث الأكاديمية المتعلقة باللغة والثقافة العربية.

إن الحفاظ على اللغة العربية في أمريكا اللاتينية ليس ترفًا ثقافيًا، بل هو واجبٌ إسلامي يُعزز الانتماء للأمة، ويتطلب استراتيجيات شاملة تركز على تطوير المناهج وتدريب المعلمين وتعزيز التعاون الأكاديمي بين المؤسسات العربية واللاتينية، عملًا بقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ (آل عمران: ١٠٤). وبتضافر جهود الرابطة والمجتمعات المحلية، يمكن تحويل التحديات إلى فرصٍ تُعيد للعربية بهاءها في هذه الرقعة الجغرافية الواسعة، كلغةٍ عالميةٍ تحمل رسالةَ سلامٍ ووحدةٍ للإنسانية.

علماء ومبدعون «غربيون» أسلموا بسبب القرآن

بقلم: د. حسن عبد الرازق النقر ـ السودان

■ على أيام دراستنا العليا في الولايات المتحدة الأمريكية، اعتدنا في نشاطنا الطوعي زيارة السجون وتقديم الإرشاد الديني للنزلاء وتوزيع الكتب خاصة ترجمة معاني القرآن الكريم. ومما لاحظناه أن كتاب الله كان هو المفتاح الأول لقلوب الناس وكان أكثر سبب للهداية واعتناق الإسلام.

وأذكر أن زميلاً لنا هو الدكتور عبد الله الأزرق أجرى بحثًا عن الأسباب التي تجعل مثقفين وعلماء كباراً في الغرب يسلمون، ونشر خلاصاته في مقالات بعنوان: (أقربهم مودة). وجد أن أهم سبب هو قراءتهم للقرآن الكريم. وأحصى الباحث أسبابًا أخرى، إذ وجد أن ثمانية أسلموا فقط بتأثير الأذان، والبعض أسلم بسبب معاملة المسلمين الحسنة لهم، لكن تظل قراءة القرآن هي السبب الأبرز.

أسماء كثيرة لشخصيات وأعلام قالوا إن تأثرهم بالقرآن كان سبب دخولهم في دين الإسلام. في الحوار الذي أجرته مجلة الرابطة مع الداعية الأمريكي المعروف يوسف أستس، ذكر قصة إسلامه وكيف التقى بمسلم من مصر له علاقة تجارية مع عائلته. سؤال عابر من أستس وجواب من هذا الشخص كان طريق الهداية؛ سؤال عن عدد نسخ القرآن الكريم والإجابة أن القرآن نسخة واحدة، وكان يظن أن القرآن مثل الكتب السماوية الأخرى منه نسخ مختلفة.

وهذا البريطاني كات استيفن (يوسف إسلام فيما بعد) تلقى ذات يوم نسخة من ترجمة معاني القرآن الكريم أهداها له أخوه القادم لتوه من زيارة القدس. ولما قرأ سورة الإخلاص «قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد» قال على الفور هذه تطابق قناعتي تماماً، هذا هو الدين الذي أريده، وأعلن إسلامه.

وقصة بطل العالم في الملاكمة كاسيوس كلاي الذي صار محمد علي كلاي قصة معروفة، إذ أسلم في عام ١٩٦٠م.

ويقول عن سبب إسلامه: بدأت أعيش مع القرآن، والفاتحة أول سورة حفظتها منه، وبدأت رحلة الإسلام التي هي رحلة طمأنينة، ورحلة إيمان يعيشها صاحبها بتعاليم خالقه.

وهناك عالم الرياضيات الأمريكي جيفري لانغ الذي أسهب في الحديث عن تأثره بالقرآن الكريم، يقول: تعرفت في الجامعة على طالب عربي كنت أُدرّسُهُ، فتوثقت علاقتي به، وأهداني نسخة من القرآن، لم أهتم بفتحه مدة طويلة، ودفعني حب الاستطلاع على فتحه ووقعت عيني على الآية من سورة البقرة: «ذلك الكتاب لا ريب فيه» فتعجبت من مؤلف يتحدى القارئ من أول سطر أنه لن يجد خطأ في كتابه، فصار همي أن أكشف أخطاء هذا الكتاب. ولما واصلت في القراءة؛ شعرت كأنّ القرآن هو الذي يقرأني.

وذات يـوم أردت زيـارة هـذا الطالب في المسـجد، ولما وصلت إلى باب المسجد تهيّبت من الدخول، ولكننـي تحاملـت علـى نفسـي ودفعـت البـاب ودخلت. سـألني شـابان داخل المسجد: هل تريد أن تعـرف شـيئًا عـن الإسـلام، فقلـت: نعـم نعم. وبعـد نقـاش معهـم أخبرتهـم برغبتـي في اعتناق الإسـلام، فطلب منـي الإمـام أن أردد وراءه النطق بالشـهادة. لقد كانت هذه الكلمات بمثابة قطرات المـاء الصافي تنحدر على حلق محترق لرجل قارب الموت من الظمأ. لا أنسى تلك اللحظة التي نطقت فيها بالشهادة أول مرة. كانت بالنسبة إليّ اللحظة الأصعب في حياتي، ولكنها الأكثر قوة وتحررًا.

وكانـت الدعـوة بالقرآن هي نهج رسـول الله صلى الله عليـه وسـلم، وفي سـيرته أنـه تلقـى الوفـود القادمـة للحج وتلا عليهم من كتاب الله تعالى، وفي حديـث ابـن عباس رضـي الله عنهما قـال: حدثني علـيٌ بن أبي طالب - رضـي الله عنه - قال: لمّا أَمر اللهُ رسولَه صلّى الله عليه وسلّم، أن يعرض نفسه على قبائل العرب، خرج وأنا معه وأبو بكر الصدّيق، حتـى دَفَعْنا إلى مجلس من مجالس العرب... قال مفـروق بن عمرو: إلامَ تدعونا يـا أخا قريش؟ فتلا رسـول الله صلّى الله عليه وسـلّم: ﴿قُـلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَـانًا وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ مِنْ إِمْـلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيّاهُـمْ وَلاَ تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُـوا النّفْـسَ الّتِـي حَـرّمَ اللّهُ إِلاّ بِالْحَـقّ ذَلِكُمْ وَصّاكُمْ بِهِ لَعَلّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١].

ولما أرسل صلى الله عليه وسلم الصحابي مصعب بن عمير إلى يثرب يدعو أهلها إلى الإسـلام، تحقق على يديه نجاح كبير، بسبب عرضه الدين من خلال القـرآن الكريـم، وهكـذا فعل مع سـيدي قومهما؛ سـعد بن معاذ وأسـيد بن حضير، فقـالا تباعا بعد سـماع شـيء مـن القـرآن الكريم: ما أحسـن هذا وأجملـه! وكيف تصنعون إذا دخلتم في هذا الدين؟ قال مصعب: تغتسل وتطهر ثيابك وتشهد شهادة الحق وتصلي ركعتين، ففعلا.

والأمثلـة علـى ذلـك أكثـر مـن أن تحصـى، فعلى المرشـدين والدعـاة أن يتواصـوا بتقديـم القـرآن وجعلـه وسـيلتهم الأولـى للدعوة إلـى الله تعالى، فالقـرآن كما يصفه رسـولنا الكريم صلى الله عليه وسـلم: كتـابُ اللهِ، فيـه نبـأُ مـا قبلكـم، وخبـرُ ما بعدكـم، وحُكمُ ما بينكـم، هو الفصلُ ليس بالهزلِ، مـن تركه من جبّارٍ قصمـه اللهُ، ومن ابتغى الهدَى في غيـرِه أضلّـه اللهُ، وهـو حبـلُ اللهِ المتيـنُ، وهو الذِّكرُ الحكيمُ، وهو الصراطُ المسـتقيمُ، وهو الذي لا تزيـغُ به الأهواءُ، ولا تختلـفُ به الآراءُ، ولا تلتبس بـه الألسُـنُ، ولا يَخلَقُ عن كثـرةِ الـرّدِّ، ولا تنقضي عجائبُه، ولا يَشـبعُ منه العلماءُ، من قال به صدَق، ومـن حكم به عـدَل، ومن عمِل بـه أُجِر، ومن دعا إليه هُدِيَ إلى صراط مستقيمٍ.

مهارة
العصف الذهني
وأهميتها في التعريف بالإسلام

بقلم: زلفى الخراط ـ المدينة المنورة

■ الحمد لله الداعي إلى عظيم عفوه ولطيف رضوانه، والصلاة والسلام على رسوله الكريم، الباذل النفس والنفيس في سبيل تبليغ دعوة الله وتحقيق مرضاته، وعلى آله وصحبه الكرام البررة الذين حافظوا على العهد، واقتفوا الأثر في حمل الأمانة، وتبليغ الرسالة إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن الله شرّف هذه الأمة، فكلّف أفرادها بوظيفة الدعوة إلى الله، وهي أشرف وظيفة؛ إذ ورثوها عن الأنبياء والمرسلين، وساروا بها على هدي أسلافهم الصالحين. وإن التزام الداعية بهذه المهمة المباركة، وسعيه في إنجاحها يدفعه إلى إتقان مهارات تُعينه للقيام بها على أفضل وجه، وتساعده على تقديم ما يحتاج إليه المدعوّ من معلومات، والتفنّن في إقناعه به. ومن تلك المهارات «العصف الذهني»؛ إذ بها يشجّع الداعيةُ المدعوّ على التفكير الإبداعي في الموضوع المطروح، وإطلاق ما لديه من طاقات كامنة حوله، ويستحثّه على توليد أفكار فيه، في جوّ من إبداء الرأي والحوار، وفي ذلك عونٌ على ترسيخ المعلومة المتلقاة.

وقد عُني القرآن والسنة باستخدام هذه المهارة التعليمية الدعوية، وأولياها عناية خاصة؛ نظراً لِما تحققه من فوائد عظيمة في المجال الدعوي.

إن الله سبحانه وتعالى لـمّا أراد أن يُوضّح الفائدة التي يجنيها المسلم في التأمّل والتفكر في خَلْقِ هذا الكون العظيم، ذكر سبحانه وتعالى أن في خلق السموات والأرض لَدلالات واضحة تدلّ على الخالق سبحانه، ولكن تلك الدلالات خاصة بأهل العقول الصحيحة، فإن مجرد التفكر فيما قصّه الله تعالى في هذه الآية يكفي العاقل ويُوصله إلى الإيمان الذي لا تُزلزله الشبهة، ولا يدفعه التشكيك. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (آل عمران: ١٩٠)، ثم بيّن سبحانه نتيجة هذا التفكّر، فذكر أن هؤلاء المؤمنين يقولون بعد تفكّرهم: ربّنا ما خلقتَ هذا الخَلْقَ الذي نراه عبثاً ولهواً، بل خلقتَه دليلاً على حكمتك وقدرتك، وننزّهك عما لا يليق بك من الأمور، وما العمليات الفكرية التي يقوم بها المسلم إلا أحد المعاني المقصودة لمهارة العصف الذهني.

ورسول الله صلى الله عليه وسلم لـمّا أراد مثلاً بيان فضل الصلوات الخمس وأثرها في تنقية المسلم من الخطايا لم يذكر لأصحابه المعلومةَ التي يريد أن ينقلها مباشرةً، بل أراد منهم الإفادة من عقولهم وشحذ أفكارهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمساً، ما تقول: ذلك يُبقي من دَرَنه»، قالوا: لا يُبقي من درنه شيئاً، قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بها الخطايا» (البخاري).

إن الداعية الحصيف هو مَن يبذل جهده في إثارة غريزة التفكير لدى المدعوّ؛ ففي ذلك تهيئة لقبولها ورسوخها في عقله وقلبه.

والعصف الذهني عند علماء التربية هو موقف تعليمي يُستخدم من أجل توليد أكبر عدد ممكن من الأفكار والآراء الإبداعية للمشاركين في حل مشكلة معينة مفتوحة في جوّ تسوده الحرية والأمان في طرح الأفكار بعيداً عن المصادرة والتقييم والنقد.

أما من منظور دعوي فمهارة العصف الذهني هي: «طرح الداعية لسؤال أو قضية على المدعوّين؛ من أجل استنباط أفكارهم وآرائهم حولها، ثم مناقشتها وبيان الفكرة الصائبة أو الرأي الصحيح». فمن خلال عملية العصف الذهني يحاول الداعية أن يُقَلّم بعض الأوراق المحتشدة في ذهن المدعوّ؛ ليكون هذا التقليم أدعى لنضج الإجابة المنشودة.

آثار العصف الذهني في المدعوّين:

إن اسـتخدام الداعية لمهارة العصف الذهني يؤثر في المدعوّيـن تأثيراً فاعلاً، ويتـرك في قلوبهم نتائج طيبة، ومن أبرز هذه الآثار:

١- توفيـر البيئـة المناسـبة لاسـتقبال المدعوّ لما يريده الداعية:

إن مهـارة العصـف الذهنـي تسـاعد الداعيـة على إنشـاء جوّ من الرغبة في التفكيـر، أو تكوين عادات عقليـة وتهيئـة بيئةٍ تشـجّع المتعلم علـى الرغبة في إثـارة التفكيـر. ومـن الأمثلة النبويـة على ذلك ما روي عن أبي سـعيد بـن المعلى رضي الله عنه قـال: كنتُ أصلي في المسـجد، فدعاني رسـول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال لي: «لأُعَلّمَنّك سورة هـي أعظـم السـور في القـرآن، قبـل أن تخرج من المسـجد». ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج، قلت له: «ألم تقل لأعلمنك سـورة هي أعظم سـورة في القرآن»، قال: {ٱلحَمـدُ لِلّهِ رَبّ العالمين} (الفاتحة: ٢). «هـي السـبع المثانـي، والقـرآن العظيم الذي أوتيته» (البخاري).

٢- ترسـيخ المعلومـات المسـتهدفة، وفهمهـا وإدراكها:

إن اسـتعانة الداعيـة بمهـارة العصـف الذهنـي في مهمتـه الدعويـة يذلّـل لـه الطريـق في إيصـال المعلومة بيسـر وجلاء للمدعو، فيشـرح المعاني، ويُبيّن الحِكَـم، ويوضّح المقاصد، ثم يترك المجال للمدعو ليُعمل فِكره، ويشحذ عقله؛ بغية الوصول للمراد، فإن أيِـس المدعوّ من ذلك، أفصح الداعية عن المعنى المراد بيانه.

ومـن أبرز الأمثلـة النبوية على هـذا الأثر، ما روي عـن عبـد الله بن عمر رضـي الله عنهما، قـال: بينا نحـن عند النبـي صلى الله عليه وسـلم جلوس إذا أُتي بجُمّار نخلة (جُمّار: قَلْب النخلة، لسان العرب، ١٤٧/٤)، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن من الشجر لما بركته كبركة المسلم» فظننت أنه يعني النخلـة، فأردت أن أقول: هي النخلة يا رسـول الله، ثم التفتُّ فإذا أنا عاشر عشرة، أنا أَحْدَثُهم، فسكتُّ، فقـال النبي صلى الله عليه وسـلم: «هـي النخلة» (البخـاري). قـال الإمـام ابـن حجر: «وفيـه ضرب الأمثـال والأشـباه لزيادة الإفهـام وتصوير المعاني لترسـخ في الذهن». وقد شـبه النخلة بالمسلم في كثرة خيرهـا، ودوام ظلّها، وطيب ثمرها، ووجوده على الدوام، فإنه من حين يطلع ثمرها لا يزال يؤكل منه حتى ييبـس، وبعد أن ييبس يُتّخذ منه منافع كثيرة، ومن خشـبها وورقها وأغصانها، فيُستعمل جُذُوعًـا وحَطَبـاً وعِصِيّـاً ومَخَاصِـرَ وحُصْـراً وحِبَـالاً وأَوَانِي وغير ذلك، ثم آخر شـيء منها نواها، ينتفع به علفاً للإبل، ثم جمال نباتها وحسـن هيئة ثمرها فهي منافع كلها وخير وجمال، كما أن المؤمن خير كله من كثرة طاعاته ومكارم أخلاقه، ويواظب على صلاتـه وصيامه وقراءته وذكـره والصدقة والصلة وسائر الطاعات.

٣- تربيـة المدعوّ على تطبيـق التوجيهات الدعوية في واقعه العملي:

الدعـوة إلـى الله ليسـت تبليـغ الإسـلام للنـاس فحسب، بل بالإضافة إلى ذلك تعليمه إياهم، ومن ثَـمّ تطبيقه في واقع الحيـاة. إذ لا فائدة مرجوة من دعـوة تُبلّغ، وتُدرّس، وتُفهّم، ثم ينسـحب صاحبها عن حَمْل المدعوّين، وتشـجيعهم، وتدريبهم على جعلها واقعاً ملموسـاً في حياتهم العملية. فلا يكفي أن يقـوم الداعيـة بتعليم المدعوّ معاني الإسـلام، وإنمـا عليه أن يشـجّعه على العمل بهـا، وصياغة سلوكه بموجبها ومقتضاها.

ومما يسـاعد الداعية على تربية المدعوّ الاستعانة بالمهـارات التي تُقنع المدعوّ بالتوجيهات الدعوية، وتغرسـها في قلبـه وتحمله علـى تطبيقها بطواعية ويسر، ومن تلك المهارات العصف الذهني.

ومـن الأمثلـة النبوية على هـذا الأثر، مـا روي أنّ أعرابياً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إنّ امرأتـي ولدت غلاماً أسـودَ، وإنـي أنكرته، فقال له رسـول الله صلى الله عليه وسـلم: «هل لك من إبل؟»، قال: نعم، قـال: «فما ألوانها؟»، قال: حمر، قـال: «هل فيها مـن أورق؟»، قـال: إن فيها لورقاً، قـال: «فأنّى ترى ذلك جاءها»، قال: يا رسـول الله، عِـرْق نزعها، قـال: «ولعل هـذا عِرْقٌ نزعـه»، ولم يُرَخّص له في الانتفاء منه (رواه البخاري).

فذلك الصحابي جاء إلى رسـول الله صلى الله عليه وسـلم يبثّـه لواعـج قلبه، ويشـكو له آلام نفسـه، وذلك لشـكّه في عفة زوجته، وصحة نسبة الولد له، فاسـتطاع عليه الصلاة والسـلام باسـتخدام مهارة العصـف الذهني أن يقتلع جذور الشـك من قلبه، وأن يقنعه بعفة زوجه، وصحة نسبة الولد له.

وبهـذا يتبيّـن لنـا بجـلاءٍ أهميـة الاسـتفادة مـن المهـارات التعليميـة المعاصرة، واسـتخدامها في المسـيرة الدعوية، مع العناية بالتأصيل الشـرعي لهـا، وقد اعتنى رسـول الله صلى الله عليه وسـلم بهذه المهـارة التعليمية وأثّر ذلك في نجاح الدعوة الإسلامية، ووصلت بها إلى أفضل النتائج، والحمد لله رب العالمين.

«البيمارستانات»:

فخر المنظومة الصحية الإسلامية

بقلم: الزبير مهداد ـ المغرب

■ نشأت في البلاد الإسلامية قديما أنظمة صحية، قوامها مؤسسات علاجية، وعاملون صحيون، وتعليم طبي، وأنظمة مالية لتمويل الخدمات العلاجية. وكانت البيمارستانات من أهم المؤسسات العلاجية التي عرفتها البلاد الإسلامية. ومارستان أو بيمارستان كلمة فارسية تعني مستشفى أو محل المريض. ولعل أول ما ظهر منها، كان في دمشق، بأمر من الخليفة الوليد بن عبدالملك عام ٨٨هـ/٧٠٧م. بنى المارستان، وعين له الأطباء، كما أمر بحبس المجذومين فيه، وأجرى عليهم وعلى العميان والمقعدين الأرزاق (المقريزي: المواعظ). وبعد ذلك تواصل إنشاء المارستانات فانتشرت في كل البلاد، فكانت تفتح أبوابها بالمجان، يسهر على خدمتهم وعلاجهم الأطباء.

اختلفت أنواع البيمارستانات باختلاف مواقعها ووظائفها وأدوارها ومخصصاتها المالية، فهناك بيمارستانات ضخمة وأخرى أصغر، ونوع آخر متنقل لعلاج جرحى الحروب، أو ضحايا الكوارث، أو مصاحبة القوافل التجارية أو ركب الحجاج، أو مصحات ملحقة بالجوامع لإسعاف المصلين يوم الجمعة بالخصوص مثل جامع ابن طولون بالقاهرة. واشتهرت مدن عديدة باحتضانها أجمل البيمارستانات، مثل بغداد، ودمشق، وجنديسابور، ومكة المكرمة، والقاهرة، ومراكش، وفاس وغيرها.

الموقع والبناء:

راعى المؤسسون في اختيار الموقع اعتدال المكان، وسعة المساحة، وقربه من الأنهار ومصادر المياه، حتى يصل الماء الجاري إلى جميع أنحاء البيمارستان، مع الحرص الدائم على إبعاد كل ما يؤذي المرتفقين والمرضى. يحكي المقريزي عن جمال الدين أقوش أنه لما تولى نظارة مارستان القاهرة، وجد بجوار بابه حوض ماء برسم شرب البهائم، كان الناس يتأذون من رائحته، ومما يتراكم قدامه من أوساخ، فقام بنقل الحوض بعيدا عن المارستان، وأنشأ مكانه سبيل ماء يشرب منه الناس. أما البناء فكان يتفنن في عمله، وعياً بالحياة النفسية للمقيمين فيه، فالحالة المزاجية تتأثر بطبيعة المكان، وتبتهج بالنقوش والزخارف التي تحليه، وتتأثر بها؛ لذلك كان المؤسسون يبذلون جهدهم في زخرفة المباني. يقول المراكشي عن بناء بيمارستان مراكش: وأمر البنائين بإتقانه على أحسن الوجوه، فأتقنوا فيه من النقوش البديعة والزخارف.

المرافق والتجهيزات:

جميع البيمارستانات كانت تجهز بشبكة ماء، تصل كل مرافقه وغرفه، تلبي حاجة المرضى والعاملين إلى هذه المادة الحيوية.

بعض البيمارستانات توفرت على مساحة واسعة، مثل مارستان مراكش، ما سمح للسلطان المنصور الموحدي

بإحداث حدائق غرسها من جميع الأشجار المشمومات والمأكولات، وأنشأ فيها أربع برك ماء إحداها من رخام أبيض متعة للناظرين.

قاعات وغرف التمريض:

كانت المارستانات الكبرى تفرد لكل طائفة من المرضى جناحا، بحسب طبيعة المرض، تيسيرا للفحص والعلاج، وصف المقريزي مارستان المنصوري، فقال: «جعل أواوين المارستان الأربعة للمرضى بالحميات ونحوها، وأفرد قاعة للمرضى، وقاعة للجرحى، وقاعة لمن به إسهال، وقاعة للنساء، ومكانا للمبرودين، ينقسم إلى قسمين: قسم للرجال وقسم للنساء»، وهذا التقليد الطبي ما يزال قائما في كل المستشفيات العالمية الكبرى.

في حين أن المارستانات المخصصة للمرضى النفسيين، تقام فيها غرف، تخصص للمرضى العنيفين، فمارستان سيدي فرج بفاس، تتوزع غرفه على طابقين، يضم الأرضي ١٨ غرفة مخصصة لعلاج المجانين من الذكور، بينما يضم الطابق العلوي ١٢ غرفة مخصصة للنساء. وكانت المارستانات عموما، تبنى على مساحات واسعة، لتستوعب الأعداد الكبيرة من المرضى، فقد ذكر البلوي في رحلته، أن مارستان القاهرة، كان يستقبل كل يوم ما يناهز أربعة آلاف مريض، وأحيانا يتعدى ذلك.

الصيدليات والمختبرات:

جميع المارستانات الكبرى كانت تضم صيدليات، وفي كل مارستان حيز خاص لصناعة وتركيب الأدوية، يشرف عليه صيدلي، وفي وصف المارستان المنصوري يدقق المقريزي بحديثه عن المختبر الصيدلي: «مكان لتركيب المعاجين والأكحال والشيافات ونحوها»، يميزه عن مخازن الأدوية «مواضع يخزن فيها الحواصل» وعن منافذ تسليم الأدوية للمرضى، «مكان يفرق فيه الأشربة والأدوية»، ضمانا لحماية المختبرات ومخازن الأدوية، التي يظل الولوج إليها حكرا على «المباشرين» العاملين بإدارة المارستان.

المطابخ:

كانت تلحق بالبيمارستانات المطابخ التي تجهز بأدوات الطبخ لإعداد الوجبات الغذائية، وتمون بما تحتاج من مواد وخضر وفواكه ولحوم، يحكي أحد المؤرخين أن المتماثل للشفاء، لا يسمح له بالخروج من المارستان المنصوري حتى يختبر بأكل فروج ورغيف كاملين، فأكلهما دليل الشفاء والعافية، يسمح له بعدها بمغادرة المارستان.

مرافق أخرى:

كان البيمارستان العتيق في القاهرة يدرس فيه الطب، فحوى خزانة كتب فيها ما يزيد على مائة ألف مجلد في سائر العلوم (ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، طبعة دار الكتب المصرية، ١٠١/٤). كما حوت بعض البيمارستانات في جوانبها أماكن للصلاة مثل مارستان قلاوون، إلى جانب مساكن للهيئة الطبية، لأنه كان يطلب منها المداومة والمكوث بجانب المرضى ليلا ونهارا.

الوظائف:

أنشئت المارستانات خصيصا لعلاج المرضى، وهي وظيفتها الأولى، إلى جانب الوظائف المرتبطة بهذه الغاية، مثل تعليم الطب، فبعض المؤسسين حددوا في حجج الوقف حصة من ريع الأوقاف للإنفاق على تدريس الطب، وعينوا أطباء وأياما وأوقاتا وأماكن مخصوصة لهذا التعليم.

وجمعت بعض المارستانات بين الطب البشري والطب البيطري، وهو أمر نادر، ولعله انفرد به مارستان سيدي فرج في فاس وحده دون غيره، إذ كان من مهامه علاج طيور اللقالق، لذلك يسمى المارستان أيضاً دار بلارج أو «دار بلارج الياقوتي»، يضم حديقة صغيرة، تزينها نافورة، وتتوسطها شجرتان معمرتان، تتوافد اللقالق على النافورة للارتواء بمائها، وهناك يتم اصطياد المرضى منها وإخضاعها للعلاج.

هذا المارستان بالخصوص، كان يؤدي وظائف أخرى، غير مرتبطة بالعلاج ولا بالطب، فكان يفتح أبوابه لإيواء الغرباء الوافدين على المدينة، فكان يسمح لهم بالإقامة في المارستان مدة أقصاها ثلاثة أيام، كما كان يقيم فيها أشراف المدينة، حفاظا على غرفها لتظل جيدة، كما كان يخصص بعض غرف الطابق الأعلى لحبس السجينات من النساء.

الخدمات:

تقدم المارستانات خدمة الفحص والعلاج المجاني للرعايا، وحجج الوقف تحدد طبيعة الناس الذين يمكنهم الاستفادة من خدمات المارستان، ضمانا لحماية حقهم في العلاج.

فحجة وقف مارستان ابن طولون شرطت ألا يعالج فيه جندي ولا مملوك (المواعظ، ٥٤٦/٣)، حتى لا ينافسوا المدنيين، في حين اشترط مؤسس المارستان النوري الكبير في دمشق أن يكون مقصورا على الفقراء والمساكين دون غيرهم. أما المارستانات الأخرى فغالبا ما كانت تفتح أبوابها للجميع بدون استثناء، فحجة وقف المارستان المنصوري تذكر بدقة أن الملك المنصور وقفه «على الملك والمملوك والجندي والأمير والكبير والصغير والحر والعبد والذكور والإناث» (المواعظ،٥٤٨/٣). وذلك دون تحديد مدة لإقامة المريض، فالإقامة تنتهي بالشفاء أو الوفاة. هذا المارستان كان حريصا على تقريب الخدمات العلاجية حتى للمرضى الذين يمنعهم سبب ما من الالتحاق بالمارستان، كان المارستان المنصوري يقدم علاجاته لهؤلاء في منازلهم: «يرتب منه لمن هو مريض بداره سائر ما يحتاج إليه».

يفد على المارستانات المرضى الذين يحتاجون علاجا لحالاتهم المرضية المستعصية في الغالب، والضرورة العلاجية تبقيهم في المارستان ليلة أو أكثر بحسب طبيعة المرض وخطورة الحالة، حيث يعرضون على الفحص والكشف، ثم يوصف لهم الدواء المناسب، لهذه الغاية جهزت المارستانات بالأسرة والأفرشة الملائمة، كمارستان مراكش، أمر له مؤسسه «من الفُرُش النفيسة من أنواع الصوف والكتان والحرير والأديم وغيره بما يزيد على الوصف، ويأتي فوق النعت» (المعجب،٢٨٧).

عند وفود المريض على المارستان، «تنزع من المريض ثيابه وأمواله، وتحفظ عند أمين المارستان، ويلبس ثيابا خاصة، ويفرش له، ويغذى ويراح بالأدوية والأغذية والأطباء حتى يبرأ، فيعطى ثيابه وماله» (المواعظ، ٥٤٦/٣). وفي مارستان مراكش ذكر المؤرخ أنه «أُعدّ فيه للمرضى ثياب ليل ونهار للنوم من جهاز الصيف والشتاء» (المعجب،٢٨٧).

كما جهزت المارستانات بالمطابخ العظيمة التي توفر الغذاء لمئات المرضى، فقد بلغ مصروف الشراب منه في المارستان المنصوري في كل يوم خمسمائة رطل سوى السكر (المواعظ،٥٤٩/٣).

ولم تكن المارستانات تخلو من أسباب الترويح، ومن ذلك جمالية الفن المعماري الذي يبعث على البهجة، ويريح النظر، فقد اجتهد البناة والفنانون في زخرفة فضاءات المارستانات وزركشة القباب والأعمدة والبلاطات والأبواب والنوافذ وتذهيبها، وتجهيزها بالمصابيح، وتخصيص مراوح لتلطيف الجو والتخفيف من حرارة الصيف، كما ألحقت بها الحدائق الغناء الجميلة، والبرك المائية والنافورات الرخامية البديعة التي تسر الناظرين.

كما اجتهدت بعض المارستانات في الترويح عن المرضى بالموسيقى، وخاصة المرضى النفسيين، وبذلك تميز مارستان سيدي فرج بفاس، حيث كان يقدم عروضا للموسيقى الأندلسية للمرضى، وكذلك المارستان المنصوري في القاهرة، فالمرضى المصابون بالأرق كانوا ينقلون إلى قاعات منفصلة حيث يستمعون إلى عزف جيد الإيقاع، أو يتولى رواة متمرنون تسليتهم بالحكايات

(جومار، وصف مصر).

ومن الخدمات المهمة أيضا التي كان يقدمها المارستان، دعم ومساعدة المرضى الفقراء، فخدمات هذه المؤسسات العلاجية لم تقتصر على تقديم العلاج فحسب، بل اهتم بعضها بأوضاع المرضى بعد شفائهم وخروجهم من المارستان، حيث خصصت مبالغ مالية للمرضى الفقراء في فترة النقاهة (المعجب، ٢٨٧).

الإدارة:

إن المهام والوظائف والخدمات المتعددة والمتنوعة للمارستانات اقتضت أن يقوم عليها طاقم كبير من المستخدمين، وباستقراء حجج الوقف، نستطيع أن نحدد العاملين المكلفين بإدارة المارستانات وخدمة المرضى ومهامهم.

فالمارستان كان تحت مراقبة ناظر المارستان، المشرف على إدارة الأموال والأوقاف المخصصة للمارستان وعلى سلامة المبنى واحتياجاته وسير العمل فيه، وكانت هذه الوظيفة معدودة من الوظائف الديوانية العظيمة، يتولاها كبار الدولة.

أمين المارستان، وهو بمثابة مدير المستشفى، الذي يقع تدبير عمل المارستان تحت نظره وإشرافه.

المباشرون، وهم أعوان الإدارة، منهم المساعدون المكلفون بالتسوق وتحديد الحاجات، والطباخون، والحراس، والفراشون، والبستانيون وغيرهم ممن يتولى خدمة المرضى (المواعظ،٥٤٩/٣)، إلى جانب الفريق الطبي المكون من الأطباء والصيادلة، وكلهم يتقاضون أجورهم من ريع الأوقاف المخصصة للمارستان.

وكان الأمراء والسلاطين يتولون مراقبة المارستانات، والقيام بزيارات دورية أسبوعية لعيادة المرضى وتفقد أحوالهم، بسؤال النزلاء عن مدى رضاهم، وعن جودة الخدمات المقدمة لهم.

التمويل:

إن حقل الرعاية الصحية من الميادين المهمة التي كان للوقف دور بارز ومشهود في تطويرها وتعميمها، فبفضل الأوقاف أحدثت المارستانات ووفرت لها الشروط لأداء وظائفها ونفقات القائمين عليها، وخدمة المرضى، وتمويل الدراسات الطبية.

والمخصصات المالية للمارستانات قد تعطي صورة عن حجمها وكثرة نزلائها، فمارستان مراكش كان يخصص له حوالي عشرة آلاف دينار كل سنة (المعجب،٢٨٧)، أما المارستان المنصوري فكان يخصص له ستون ألف دينار (المواعظ،٥٤٦/٣).

إلى جانب الوقف، كان كثير من المحسنين يتبرعون من مالهم لإصلاح وصيانة وتوسيع هذه المؤسسات، وعياً بأهميتها الصحية الاجتماعية.

كما أن بعض المارستانات كانت تخصص لها أموال من المالية العمومية، من مداخيل بيت المال (ابن أبي زرع: الذخيرة، ١٩٧٣، ص٩١).

«الإسلاموفيليا»

بقلم: د. عثمان أبوزيد

■ بعد سـنوات من انتشـار مصطلح (إسلاموفوبيا)، بدأت محركات البحث في الشبكة الدولية تستخدم كلمة جديدة هي (إسلاموفيليا).

وإذا كانت إسـلاموفوبيا تمثل الخوف المرضي من الإسـلام أو ما ترجم إلى العربية برهاب الإسـلام، فإن كلمة (إسلاموفيليا) هي حب الإسلام والانبهار بحضارته وقيمه.

ودخلـت الكلمـة في بعـض القواميـس والمراجـع اللغويـة بمعنى حـب أو إعجـاب بقيم الإسـلام أو الحضارة الإسلامية، فهي بحسب القاموس (إيربان ديكشنري)، تعني: «دعم الدين والثقافة الإسلامية».

ولعـل بعـض وسـائل الإعلام الغربية ومنهـا صحيفة نيويورك تايمز قد أشـارت إلى أن الإسـلام الذي تعرض للتشـويه والشـيطنة سابقًا يبرز للكثير من مستهلكي وسـائل الإعلام على أنه دين المحبة والتسامح. وهناك إقبال لا تخطئه العين على الإسلام في أوروبا وأمريكا.

وربمـا يكـون أول كتـاب يحمل هذا المصطلح هـو الصادر عـام ٢٠١٣ للمؤلف والمذيع دوغـلاس موراي، وهو الكتـاب الـذي أحصى مواقف وكلمات للعديد من نجوم المجتمع والسياسـة ورجـال الدين وأصحاب العقول الذين أنصفوا الإسلام في المجتمع الغربي.

يبيّن موراي في كتابه الإسـلاموفيليا كيف اختار العديد من المشـاهير في مرحلة ما، التخلي عن انتقاد الإسـلام وقـرروا بـدلاً من ذلك إعلان درجة من الحب له. ومن الأسـماء التي يشـملها الكتاب أمير ويلـز (حاليًا الملك تشـارلز)، وسيباسـتيان فولكـس، ومارتـن أميس، وبوريس جونسـون، وسـاوث بارك، وتوني بليـر، وريدلي سـكوت، وديفيد كاميرون، ووليام نيسـون، وجاستن بيبر، ودار نشر راندوم هاوس، وهيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي)، وريتشارد دوكينز.

ويزداد تداول مصطلح الإسـلاموفيليا (حب الإسـلام) مع انطلاق إحياء اليوم الدولي لمكافحة كراهية الإسـلام الذي ترعاه هيئة الأمم المتحدة.

وغيـر خافٍ ما لرابطة العالم الإسـلامي من إسـهام ملمـوس في التعريف بمزايا الإسـلام والتعاون مع الجميع لإبراز الصورة الحقيقية له؛ دين محبة وتعايش وسلام.

إن علينا أن نحتفي بهذا المصطلح ونشارك في نشره واستلهامه. ولا شك أن الطريق الأمثل لانتشار المصطلح هو المضي بجد في طريق المحبة والتعايش والسلام.

ولنستمر كذلك في تمثل النموذج الحضاري الأمثل للتعايش بين التنوع الديني والإثني على النحو الذي تقدمه للعالم وثائق أساسية لرابطة العالم الإسلامي مثل وثيقة مكة المكرمة التي حذرت من ظاهرة الإسلاموفوبيا المتضخمة نتيجة عدم المعرفة بحقيقة الإسلام، أو نتيجة سوء معرفة حقيقة الإسلام.

وختامًا ليكن الشعار المرفوع: لا للإسلاموفوبيا. نعم للإسلاموفيليا.

رابطة العالم الإسلامي
MUSLIM WORLD LEAGUE

حفل جائزة تنزانيا الدولية للقران الكريم للفتيات

تصوير: نايف الزهراني